# وصية

# الإمام الكاظم عليه السلام

## لهشام بن الحكم

تحقيق

فارس حسون كريم

**مقدّمة التحقيق :**

**بسم الله الرحمٰن الرحيم**

الحمد لله الذي عطف علىٰ أوليائه وخاصّته ، ولطف بهم بما أراهم من أسرار ملكوته ومملكته ، وكشف الحجب بينهم وبين عظمة ربوبيّته ، فأشرقت علىٰ سرائر قلوبهم شموس إقباله ، وتحقّقت بصائرهم بما شاء من مقدّس جلاله ، فعصمهم بتلك الهيبة أن يقع في حضرته الاشتغال عنه منهم ، وآشتغلوا بمراقبته جلّ جلاله عنهم .

والصلاة والسلام علىٰ نبيّه محمّد ، أعظم واعٍ لمراده ومقصوده ، وأكمل داعٍ إلىٰ الوقوف عند حدوده .

وعلىٰ أخيه ووزيره أمير المؤمنين ، ويعسوب الدين .

وعلىٰ أهل بيته الطيّبين الطاهرين .

**وبعد :**

فإنّه ليس من العجيب أن نرىٰ كثيراً من علماء سلفنا الصالح يغتنمون فرصة الاتّصال بإمام زمانهم ، ويطلبون منه أن يملي عليهم ممّا زاده الله من علمٍ وفضلٍ ، فحينها يوصيهم بوصايا يعدّونها أغلىٰ شيء عندهم لا لشيء سوىٰ أنّهم يجدونها إكمال نقصٍ ، وتوجيهاً للخير والسعادة ، لا سيّما كان الموصي شخصيّة إسلاميّة قد جبلت علىٰ الخير والعطاء ، فهو يتوخّىٰ لهم

السعادة، ويقيم لهم الحجج الواضحة، والبراهين اللائحة.

والأئمّة عليهم السلام من أهل بيت لا تجهل منزلتهم، ولا تنكر مكانتهم، وهم أَولىٰ بتبليغ الأحكام، وهداية الأنام إلىٰ سواء السبيل، مهما كثرت عوامل المعارضة في طريق الوصول إلىٰ الغاية المتوخّاة.

والإمام الكاظم عليه السلام واحد من هٰؤلاء الأفذاذ، والثمرة المباركة من تلك الشجرة النبويّة المطهّرة، إمام الصبر علىٰ التقوىٰ والعبادة[1]، الحائز لقصب السبق في ميدان سيادة الولاية، وولاية السيادة، لا يلحق أثره ولا يبلغ شأوه، فلذلك نرىٰ كثيراً من علماء زمانه يغتنمون فرصة الحضور عنده للنهل من عطائه وتعاليمه، وحرصهم علىٰ الظفر ببعض الوصايا الثمينة والدرر القيّمة التي يبوح بها ليستفعوا بها، فهم يطلبون الخير لأنفسهم وللأُمّة.

ولم يكن هناك منهج معيّن للمسائل التي يسألونه عنها، بل كان تارة يُسأل عن مختلف العلوم والمسائل المشكلة فيحلّها، ويبتدئ تارة فيهدي قلوباً متنكّبة ضلّت طريقها، وتارة يجتمعون حواليه فيحدّثهم عن آبائه فيما

---

(١) قال عمّار بن أبان: حبس أبو الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام عند السنديّ، فسألته أُخته أن تتولّىٰ حبسه ـ وكانت تتديّن ـ ففعل، فكانت تلي خدمته، فحكي لنا أنّها قالت:

كان إذا صلّىٰ العتمة حمد الله ومجّده ودعاه، فلم يزل كذلك حتّىٰ يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلّي حتّىٰ يصلّي الصبح، ثمّ يذكر قليلاً حتّىٰ تطلع الشمس، ثمّ يقعد إلىٰ ارتفاع الضحىٰ، ثمّ يتهيّأ ويستاك ويأكل، ثمّ يرقد إلىٰ قبل الزوال، ثمّ يتوضّأ ويصلّي حتّىٰ يصلّي العصر، ثمّ يذكر في القبلة حتّىٰ يصلّي المغرب، ثمّ يصلّي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه.

فكانت أُخت السندي إذا نظرت إليه قالت: خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل.

تاريخ بغداد ١٣ / ٣١، سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٧٣، الكامل في التاريخ ٦ / ١٦٤.

يصلح لمعادهم ومعاشهم[١]، وربّما يملي ويكتب الكتاب في أهمّ مسائل علم الكلام والحديث مجسّداً حرصه علىٰ هداية الأُمّة، يواصل جهاده في مكافحة الأوضاع الشاذّة، ويعلن آراءه ضدّ نظام ذلك الحكم الجائر[٢].

ولقد كان عليه السلام صوت إصلاح داوٍ، وصرخة إرشاد عالية، يدعو الناس إلىٰ التمسّك بمبادئ الإسلام الحنيف، وهدي القرآن الكريم، وقد عرف

---

(١) قال أبو حنيفة: رأيت موسىٰ بن جعفر وهو صغير السنّ في دهليز أبيه، فقلت: أين يحدث الغريب منكم إذا أراد ذلك؟

فنظر إليّ ثمّ قال: يتوارىٰ خلف الجدار، ويتوقّىٰ أعين الجار، ويتجنّب شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية الدور، والطرق النافذة، والمساجد، ولا يستقبل القبلة، ولا يستدبرها، ويرفع، ويضع بعد ذلك حيث شاء.

قال: فلمّا سمعت هذا القول منه نبل في عيني، وعظم في قلبي، فقلت له: جعلت فداك، ممّن المعصية؟

فنظر إليّ، ثمّ قال: إجلس حتّىٰ أخبرك، فجلست فقال: إنّ المعصية لا بُدّ أن تكون من العبد، أو من ربّه، أو منهما جميعاً.

فإن كانت من الله تعالىٰ فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما يفعله، وإن كانت منهما فهو شريكه، والقويّ أولىٰ بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر، وإليه توجّه النهي، وله حقّ الثواب والعقاب، ووجبت الجنّة والنار.

فقلت: ﴿ذرّيّة بعضها من بعض﴾ الآية [سورة آل عمران ٣: ٣٤].

مناقب ابن شهرآشوب ٤/ ٣١٤، أمالي المرتضىٰ ١/ ١٥١، الفصول المختارة ١/ ٤٣، إعلام الورىٰ: ٢٩٧، تحف العقول: ٤١١، الاحتجاج ٢/ ٣٨٧، روضة الواعظين: ٣٩.

(٢) كان في سنيّ إمامته بقيّة ملك المنصور، ثمّ ملك المهدي عشرة سنين وشهراً وأيّاماً، ثمّ ملك الهادي سنة وخمسة عشر يوماً، ثمّ ملك الرشيد ثلاث وعشرين سنة وشهرين وسبعة عشر يوماً.

وبعد مضيّ خمس عشرة سنة من ملك الرشيد آستشهد مسموماً في حبس الرشيد علىٰ يدي السنديّ بن شاهك يوم الجمعة.

مناقب ابن شهرآشوب ٤/ ٣٢٣.

أوضاع الأُمّة، وما أصابها من تفكّك وهوان، ورأى أنّ الداء وراء تحكّم النزعات في النفوس، وأنّ الدواء هو الالتزام بمبادئ وأحكام الدين، وأنّ رسوخ العقيدة في القلوب قوّة لأفراد الأُمّة، ومنعة لكيان المجتمع من تحكّم النزعات، وانتشار الرذيلة، كما أنّها سلاح فاتك يرهب ولاة الجور.

فكان عليه السلام لا تفوته فرصة دون أن يدعو إلى اعتناق الفضائل، ومحاربة الرذيلة، ليصبح المجتمع متماسكاً يستطيع أن يوحّد كلمته في مقابلة الظالمين الّذين استبدّوا بالحكم، وابتعدوا عن الإسلام، وإنّ الثورة الدمويّة ضدّهم لا تعود على المجتمع إلّا بالضرر لأنّهم أُناس عرفوا بالقسوة وسوء الانتقام، ولهم أعوان يشدّون أزرهم، وأنصار يدافعون دونهم، فالإمام عليه السلام كان يُعنى بإصلاح الوضع الداخلي، فكان يرسل وصاياه عامّة شاملة، وينطق بالحكمة عن إخلاص وصفاء نفس، وحبّ للصالح العامّ ليعالج المشاكل الاجتماعيّة، وكان يدعو الناس إلى الورع عن محارم الله، والخوف منه تعالى، والامتثال لأوامره، والشعور بالمسؤوليّة أمام الله تعالى، وجعل يوم الحساب ماثلاً أمام أعينهم، مع حثّهم على التكسّب وطلب الرزق كما كان يحثّ على العمل ويعمل بنفسه[1]، وينهى عن الكسل

---

(١) روى الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام يعمل في أرضٍ له، قد استنقعت قدماه في العرق، فقلت: جعلت فداك، أين الرجال؟! فقال: يا علي، قد عمل باليد من هو خير منّي في أرضه، ومن أبي.
فقلت: ومن هو؟
فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، وآبائي كلّهم كانوا قد عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيّين والمرسلين والأوصياء والصالحين.
الكافي ٥/٧٥ ح ١٠، من لا يحضره الفقيه ٣/١٦٢ ح ٣٥٩٣، بحار الأنوار

والبطالة، ويأمر بطلب الرزق كما أمر الله تعالىٰ.

ولم يكن عليه السلام أوّل من دارت عليه الرحىٰ، فقد كان آباؤه الماضون عليهم السلام ينابيع الحكم، ومعدن الرسالة، وله خير أُسوة بأبيه الصادق عليه السلام، فريد عصره، ووحيد زمانه، فإليه كانت تشدّ الرحال، وينهل من علمه المخالف والمؤالف، وكانت مدرسته موضع عناية المفكّرين يقصدها زعماء المذاهب، فكان الإمام عليه السلام يناظرهم، وقد اجتمع بكثير منهم في العراق ومكّة فكانوا يخضعون لعذوبة منطقه، وحسن بيانه، وقوّة حجّته، وقدرته الفائقة في التوجيه لاتّساع عمله، وساطع برهانه، وقد حضر عنده كثير من أهل الآراء والمعتقدات المنحرفة عن طريق الصواب، فهدىٰ الله به بعضاً منهم وتعنّت آخرون.

فهذا سفيان الثوري، وهو من علماء الأُمّة يختلف إلىٰ الإمام، ويطلب منه أن يوصيه بما ينفعه، ثمّ يستزيده مرّة بعد أُخرىٰ، وقد أكثر سفيان مِنْ ذِكر تلك الوصايا ونشرها للملأ، ولا يستبعد أن يكون ذلك هو السبب في مطاردته من قبل السلطات بعد أن فشلت في محاولتها لاستمالته حتّىٰ مات مغضوباً عليه من قبل ولاة الجور[1].

وهذا أبو حنيفة يغتنم الحضور عنده ويصغي لوصاياه عندما قدم إلىٰ المدينة، وكذلك في الكوفة يوم دخلها الإمام الصادق عليه السلام، كما تحدّثت بذلك كتب مناقب أبي حنيفة[2]، وغيرها.

---

↩ ٤٨/ ١١٥ ح ٢٧، وسائل الشيعة ١٢/ ٢٣ ح ٦.

(١) انظر: تفسير فرات الكوفي: ١١٥ ح ١١٧.

(٢) آنظر: مناقب أبي حنيفة ـ للخوارزمي ـ: ٤٠ و ٤٩ و ١١٥ و ١٤٨، ومناقب أبي حنيفة ـ للكردري ـ: ٨٣ و ١٩٣.

وهذا الإمام مالك يلازم صحبته ويرافقه ويتزوّد منه[١].

وكان حفص بن غياث ـ وهو أحد الأعلام ـ وكذا عبد الله بن جندب يطلبان من الإمام أن يوجّههما ويزوّدهما بوصايا، وقد احتفظ التاريخ بالكثير من أمثال ذلك[٢].

أمّا من جهة الأبناء، فهذا حفيده الجواد عليه السلام أصغر الأئمّة سنّاً، وقد رجعت إليه الشيعة وقالت بإمامته بعد وفاة أبيه الرضا عليه السلام وكان عمره الشريف لا يتجاوز السبع سنين، وقد عقد له المأمون مؤتمراً علمياً، وعهد إلى كبار الفقهاء والعلماء أن يمتحنوه بأخطر المسائل وأكثرها غموضاً وتعقيداً، فتقدّموا إليه وسألوه، فأسرع بالجواب عنها، وخاضوا معه مختلف العلوم والفنون، وقد أجاب عن كلّ ما سئل عنه وخرج منها ظافراً منتصراً، وقد ملك قلوبهم إعجاباً به، وقد دان شطر منهم بإمامته.

## المنهجية المتّبعة في تحقيق الرسالة:

رويت هذه الوصيّة النافعة والمترصّعة بمكارم الأخلاق بروايتين:

١ ـ في **تحف العقول عن آل الرسول** عليهم السلام تأليف الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبي محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني رحمه الله، من أعلام القرن الرابع.

وهذه الرواية مرسلة، وبما أنّها هي الأطول لذا جعلناها في المتن.

٢ ـ في الأصول من **الكافي** تأليف ثقة الإسلام أبي جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه الله، المتوفّى سنة ٣٢٩ هـ.

---

(١) انظر: الخصال: ١٦٧ ح ٢١٩، علل الشرائع: ٢٣٤ ح ٤، أمالي الصدوق: ١٤٣ ح ٣.
(٢) انظر: الكافي ٢/ ٨٨ ح ٣، تحف العقول: ٣٠١، بحار الأنوار ٧١/ ٦٠ ح ١.

وهذه الرواية أقصر من رواية **التحف**، وفيما بينهما اختلافات أشرنا لها في محالّها. وما أضفناه من **الكافي** جعلناه بين [ ]، وما ليس في **الكافي** جعلناه بين ( ).

ومن ثمّ استخرجنا الآيات الشريفة من القرآن الكريم وضبطناها طبق القرآن.

وطابقنا الوصيّة مع **بحار الأنوار**، وعلىٰ الرغم من ندرة الاختلافات فقد أشرنا لها في الهامش.

وبعد ذلك قمنا بضبط هذه الوصيّة ضبطاً صحيحاً قدر المستطاع.

ومن ثمّ زيّنّا الهوامش بشروحات مفيدة كان الشرحان القيّمان **للكافي** هما المنبع الرئيسي لها، وهذان الشرحان هما:

١ ـ **كتاب الوافي** للمحدّث الفاضل، والحكيم العارف الكامل محمّد محسن، المشتهر بـ «الفيض الكاشاني» قدس سره، المتوفّىٰ سنة ١٠٩١ هـ.

٢ ـ **مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول** عليهم السلام تأليف العلّامة شيخ الإسلام المولىٰ محمّد باقر المجلسي قدس سره، المتوفّىٰ سنة ١١١٠ هـ.

إضافة إلىٰ بيانات الشيخ المجلسي رحمه الله في موسوعته **بحار الأنوار**.

والحمد لله ربّ العالمين.

**فارس حسّون كريم**

**قم المقدّسة**

**٢٥ رجب سنة ١٤١٦ هـ. ق**

# [متن الوصيّة][1]

[أبو عبد الله الأشعري[2]، عن بعض أصحابنا، رفعه، عن هشام بن الحكم[3].

---

(١) أضفناها لتوضيح بداية الرسالة.

(٢) صُدِّرت بعض نسخ الكافي بـ «بعض أصحابنا».

وأبو عبد الله الأشعري هو: الحسين بن محمّد بن عامر بن عمران بن أبي بكر الأشعري القمّي، له كتاب النوادر.

انظر ترجمته في: رجال النجاشي: ٦٦ رقم ١٥٦، جامع الرواة ١/ ٢٥٢ رقم ١٩٦٤، معجم رجال الحديث ٦/ ٧٢ رقم ٣٦٠١ و ٧٣ رقم ٣٦٠٢ و ٧٦ رقم ٣٦١٥ و ٧٩ رقم ٣٦٢٠، و ٢١/ ٢١٧ رقم ١٤٤٦٣.

(٣) هو أبو محمّد؛ وقيل: أبو الحكم هشام بن الحكم البغدادي الكندي، مولىٰ بني شيبان، ممّن آتّفق الأصحاب علىٰ وثاقته، وعظم قدره، ورفعة منزلته عند الأئمّة عليهم السلام، كانت له مباحثات كثيرة مع المخالفين في الأُصول وغيرها، صحب أبا عبد الله وبعده أبا الحسن موسىٰ عليهما السلام، وكان من أجلّة أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وبلغت مرتبة علوّه عنده أنّه دخل عليه بمنىٰ وهو غلام أوّل ما اختطّ عارضاه وفي مجلسه شيوخ الشيعة كحمران بن أعين وقيس الماصر ويونس بن يعقوب وأبي جعفر الأحول وغيرهم فرفعه علىٰ جماعتهم وليس فيهم إلّا من هو أكبر سنّاً منه، فلمّا رأىٰ أبوَ عبد الله عليه السلام أنّ ذلك الفعل كبر علىٰ أصحابه قال: هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده.

وكان له أصل، وله كتب كثيرة، وأنّ الأصحاب كانوا يأخذون عنه.

مولده بالكوفة، ومنشأه بواسط، وتجارته ببغداد، وكان يبيع الكرابيس، وينزل الكرخ من مدينة السلام بغداد في درب الجنب، ثمّ انتقل إلىٰ الكوفة في أواخر عمره، ونزل قصر وضّاح، وتوفّي في أيّام الرشيد مستتراً، وكان لاستتاره قصّة مشهورة في المناظرات، وترحّم عليه الرضا عليه السلام.

قال ابن النديم في «الفهرست» في شأنه: إنّه من متكلّمي الشيعة وبطائنهم، ومن دعا له الصادق عليه السلام، فقال: أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لحسّان: لا تزل مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. وهو الذي فتق الكلام في الإمامة، وهذّب

قال: قال لي أبو الحسن موسىٰ بن جعفر عليهما السلام ][1]

[يا هشام!][2] إنّ الله تبارك وتعالىٰ بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: **﴿فبشّر عباد * الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أُولئك الّذين هداهم الله وأُولئك هم أُولوا الألباب﴾**[3].

---

المذهب، وسهل طريق الحِجاج فيه، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب. وكان أوّلاً من أصحاب الجهم بن صفوان، ثمّ انتقل إلىٰ القول بالإمامة بالدلائل والنظر، وكان منقطعاً إلىٰ البرامكة ملازماً ليحيىٰ بن خالد، وكان القيّم بمجالس كلامه ونظره، ثمّ تبع الصادق عليه السلام وانقطع إليه، وتوفّي بعد نكبة البرامكة بمدّة يسيرة؛ وقيل: بل في خلافة المأمون.

وإنّ العامّة طعنوا فيه كثيراً، ونسبوا إليه القول بالتجسّم، وأنّ الأصحاب أخذوا في الذبّ عنه تنزيهاً لساحته عن ذلك، وخير دليل علىٰ مدحه هذه الوصيّة الجامعة لأبواب الخير والفلاح.

انظر ترجمته في: الفهرست ـ لابن النديم ـ: ٢٤٩، رجال النجاشي: ٤٣٣ رقم ١١٦٤، رجال الطوسي: ٣٢٩ رقم ١٨ و ٣٦٢ رقم ١، فهرست الطوسي: ٢٠٣ رقم ٧٨٣، رجال الكشّي: ٢٥٥ ـ ٢٨٠، الملل والنحل ١/ ١٦٤، معالم العلماء: ١٢٨ رقم ٨٦٢، رجال العلّامة الحلّي: ١٧٨ رقم ١، سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣١٣ رقم ٢٢٣٧، لسان الميزان ٦/ ١٩٤ رقم ٦٩١، جامع الرواة ٢/ ٣١٣ رقم ٢٢٣٧، فلاسفة الشيعة: ٦٣٣، معجم رجال الحديث ١٩/ ٢٧١ رقم ١٣٣٢٩، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ١/ ٣٩٩، و ٢/ ٧٨، أعلام الزركلي ٨/ ٨٥.

(١) ما بين المعقوفتين أثبتناه من الكافي.

(٢) من الكافي.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ١٧ ـ ١٨.

استدلّ الإمام عليه السلام بهذه الآية الشريفة علىٰ تقديم ذوي العقول والبصائر السليمة علىٰ غيرهم، كما دلّت الآية علىٰ وجوب النظر والفحص والاستدلال في تمييز الصحيح من الفاسد، ولا يحصل ذلك إلّا بإقامة الدليل والحجّة.

**﴿فيتّبعون أحسنه﴾** مثلما يستمعون أنّ الله عزّ وجلّ أرسل إلىٰ عباده رسولاً ليهديهم إلىٰ الحقّ وإلىٰ صراط مستقيم، ثمّ يستمعون ما يخالف ذلك وأنّه سبحانه وكّلهم إلىٰ عقولهم المتباينة الناقصة، لا شكّ هنا أنّ أصحاب العقول السليمة يتّبعون

يا هشام! (بن الحكم)[١] إنّ الله عزّ وجلّ أكمل للناس الحجج بالعقول، وأفضىٰ إليهم بالبيان[٢]، ودلّهم علىٰ ربوبيّته بالأدلّاء[٣]، فقال: ﴿وإلٰهكم إلٰه واحد لا إلٰه إلّا هو الرحمٰن الرحيم﴾[٤].

---

أحسن القولين وهو الأوّل قطعاً.

كذا الحال فيما يستمعون أنّ الرسول ﷺ أوصىٰ إلىٰ معصوم من أهل بيته بأن يخلفه في أُمّته بعد رحلته، ثمّ يستمعون أنّه ﷺ أهمل ذلك وترك الأُمّة في حيرة وضلالة.

﴿أُولٰئك الّذين هداهم الله﴾ من المسلّم به أنّ كلّ عارض لا بُدّ له من موجد، كما لا بُدّ من قابل، وهنا دلّت هذه الآية الشريفة أنّ موجد الهداية هو الله تعالىٰ، ولذلك نسبها إليه.

أمّا القابلون لها فـ ﴿هم أُولوا الألباب﴾ أهل العقول المستقيمة المتكاملة.

(١) ليس في الكافي.

(٢) «أكمل للناس الحجج بالعقول» أي أكمل حججه علىٰ الناس بما آتاهم من العقول. وقيل: «الحجج» البراهين.

«أفضىٰ إليهم بالبيان» الباء في «بالبيان» أي بعدما أكمل عقلهم ألقىٰ إليهم بيان ما يلزمهم علمه ومعرفته.

وقيل: أي ببيانه البراهين لهم للرشد والإرشاد.

في الكافي: «ونصر النبيّين بالبيان» أي ببيان الحقّ وآيات الصدق، ليكونوا حججاً علىٰ عباده، وهداة لهم إلىٰ طريق الخير والنجاة، ولو لم يمنحهم ذلك لَما صلحوا لقيادة أُممهم وهدايتها فإنّ الناقص لا يكون مكمّلاً لغيره.

(٣) في الكافي: «ودلّهم علىٰ ربوبيّته بالأدلّة» أي علّمهم طريق معرفته، وتوحيده بأدلّة حاسمة تشهد علىٰ وجوده، وتدلّ علىٰ وحدانيّته.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٦٣.

وقد تضمّنت الآية الشريفة جملة من هذه الأدلّة والآثار العظيمة التي تعجز جميع العقول عن الإحاطة بعشر معشارها، والتي تشهد علىٰ كون صانعها حكيماً، عليماً، قادراً، رحيماً بعباده، لذا فهو المستحقّ للعبادة، إذ العقل يحكم بديهياً بأنّه الكامل من جميع الجهات، العاري من جميع النقائض والآفات، القادر علىٰ إيصال جميع الخيرات والمضرّات، هو أحقّ بالعبوديّة.

وفي الآية دلالة علىٰ لزوم النظر في خواصّ مصنوعاته سبحانه، والاستدلال بها

يا هشام! قد جعل الله عزّ وجلّ ذلك دليلاً على معرفته بأنّ لهم مدبّراً، فقال: ﴿**وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون**﴾[1]

وقال: ﴿**هو الذي خلقكم من ترابٍ ثمّ من نطفةٍ ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً ومنكم من يُتوفّىٰ من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمّىً ولعلّكم تعقلون**﴾[2].

وقال: (**إنّ في اختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون**)[3].

---

على وجوده ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته وسائر صفاته.

وقد روي عنه صلى الله عليه وآله: «ويلٌ لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها» أي: لم يتفكّر بها.

(١) سورة النحل ١٦: ١٢.

«وسخّر لكم» أي: هيّأها لمنافعكم.

(٢) سورة غافر ٤٠: ٦٧.

﴿**خلقكم من ترابٍ**﴾ إذ خلق أوّل أفراد هذا النوع وآباءهم منه، أو لأنّ الغذاء الذي يتكوّن منه المنيّ يحصل منه، ويمكن أن يكون المراد التراب الذي يطرحه المَلَك في المني.

﴿**ثمّ يخرجكم طفلاً**﴾ أي أطفالاً. ولفظ المفرد لإرادة الجنس أو على تأويل: يخرج من كلّ واحد منكم، ﴿**ثمّ لتبلغوا**﴾ أي يبقيكم لتبلغوا، وكذا في قوله: ﴿**ثمّ لتكونوا شيوخاً**﴾.

﴿**أشدّكم**﴾ أي: كمال قوّتكم وأوان عقلكم.

﴿**من قبل**﴾ أي من الشيخوخة أو بلوغ الأشدّ.

﴿**أجلاً مسمّىً**﴾ أي يفعل ذلك لتبلغوا أجلاً مسمّىً هو وقت الموت أو يوم القيامة.

(٣) كذا في جميع نسخ الكافي، والتصحيف فيها ظاهر.

وهي إمّا أن تكون الآية: ١٦٤ من سورة البقرة ﴿**إنّ في خلق السماوات وآختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله**

وقال: ﴿ يحي االأرض بعد موتها قد بيّنّا لكم الآيات لعلّكم تعقلون ﴾ (١).

وقال: ﴿ وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوانٍ يسقىٰ بماء واحد ونفضّل بعضها علىٰ بعض في الأُكل إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون ﴾ (٢).

وقال: ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزّل من السَماء ماءً فيحي به الأرض بعد موتها إنّ في ذٰلك لآياتٍ لقوم يعقلون ﴾ (٣).

وقال: ﴿ قل تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم ألّا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيّاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم

---

﴿ من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون ﴾ أو الآية: ٥ من سورة الجاثية ٤٥: ﴿ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ﴾.

﴿ من رزق ﴾ هو الماء لأنّه رزق أو سبب للرزق، ويحتمل تأويل الأرض بالقلب والرزق بالعلم تشبيهاً له بالماء، لأنّه سبب حياة الروح كما أنّ الماء سبب حياة البدن.

(١) سورة الحديد ٥٧: ١٧.

(٢) سورة الرعد ١٣: ٤.

﴿ صنوان ﴾ نخلات أصلها واحد، وفي حديث العبّاس: «عمّ الرجل صنو أبيه».

﴿ غير صنوان ﴾ أي متفرّقات مختلفة الأُصول.

﴿ في الأُكل ﴾ أي في الثمر شكلاً وقدراً ورائحة وطعماً، ودلالتها علىٰ الصانع الحكيم ظاهر، فإنّ اختلافها مع اتّحاد الأُصول والأسباب لا يكون إلّا بتخصيص قادر مختار.

(٣) سورة الروم ٣٠: ٢٤.

﴿ يريكم البرق ﴾ أي آية يريكم بها البرق خوفاً من الصاعقة أو تخريب المنازل والزروع، أو للمسافر ﴿ وطمعاً ﴾ أي في الغيث والنبات وسقي الزروع.

**الله إلّا بالحقّ ذلكم وصّاكم به لعلّكم تعقلون﴾**[1].

وقال: **﴿هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصّل الآيات لقومٍ يعقلون﴾**[2][3].

---

(١) سورة الأنعام ٦: ١٥١.

﴿قل تعالوا﴾ أمر من التعالي، وأصله أن يقوله من كان في علوّ لمن كان في سفل فاتّسع بالتعميم.

﴿ألّا تشركوا﴾ لمّا أوجب ترك الشرك والإحسان إلىٰ الوالدين فقد حرّم الشرك والإساءة إليهما، لأنّ إيجاب الشيء نهي عن ضدّه، فيصحّ أنّ يقع تفصيلاً لِما حرّم.

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي وأحسنوا بهما إحساناً، وضعه موضع النهي علىٰ الإساءة إليهما، للمبالغة والدلالة علىٰ أنّ ترك الإساءة في شأنهما غير كافٍ بخلاف غيرهما.

﴿من إملاقٍ﴾ أي من أجل فقر ومن خشيته، وصرّح بذكر الخوف في قوله تعالىٰ: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ سورة الإسراء ١٧: ٣١.

﴿ولا تقربوا الفواحش﴾ أي الزنا والكبائر أو جميع المعاصي.

وقوله: ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ أي سرّاً وعلانية، والفسوق الظاهرة والباطنة، أو ما ظهر تحريمه من ظهر القرآن، وما ظهر تحريمه من بطنه كما ورد في بعض الأخبار.

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام ﴿ما ظهر﴾ نكاح امرأة الأب و﴿ما بطن﴾ الزنا.

﴿إلّا بالحقّ﴾ كالقود، وقتل المرتدّ، ورجم المحصن.

﴿ذلكم وصّاكم به﴾ أي بحفظه.

﴿لعلّكم تعقلون﴾ فيه إشارة إلىٰ أنّ الغرض الأصلي والغاية الذاتية من فعل الواجبات وترك المحرّمات إنّما هو حصول العقل والعاقل بما هو عاقل، وأنّ لتكميل القوّة العمليّة مدخلاً في ذلك، كما أنّ لتكميل القوّة النظريّة مدخلاً، وأنّ أحدهما لا يستغني عن الآخر.

(٢) سورة الروم ٣٠: ٢٨.

(٣) كذا في الكافي، وفي التحف: يا هشام! قد جعل الله... ﴿... مسخّرات بأمره إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعلقون﴾.

يا هشام! ثمّ وعَظ أهل العقل ورغّبهم في الآخرة فقال: ﴿ **وما الحياة الدنيا إلّا لعبٌ ولهو وللدار الآخرة خير للّذين يتّقون أفلا تعقلون** ﴾[1].

وقال: ﴿ **وما أُوتيتم من شيءٍ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خيرٌ وأبقىٰ أفلا تعقلون** ﴾[2].

يا هشام! ثمّ خوّف الّذين لا يعقلون عذابه[3] فقال عزّ وجلّ: ﴿ **ثمّ دمّرنا الآخرين * وإنّكم لتمرّون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون** ﴾[4].

[وقال: ﴿ **إنّا منزلون علىٰ أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا منها آية بيّنة لقومٍ يعقلون** ﴾[5]].

---

وقال: ﴿ **حمٓ * والكتاب المبين * إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون** ﴾ سورة الزخرف ٤٣: ١ ـ ٣.

وقال: ﴿ **ومن آياته يريكم البرق خوفاً ... يعقلون** ﴾.

(١) سورة الأنعام ٦: ٣٢.

﴿ **وما الحياة الدنيا** ﴾ أي أعمالها ﴿ **إلّا لعب ولهو** ﴾ لقلّة نفعها وانقطاعها، أو لأنّها تلهي الناس وتشغلهم عمّا يعقب منفعة دائمة ﴿ **وللدار الآخرة خير** ﴾ لدوامها وخلوص منافعها ولذّاتها ﴿ **للّذين يتّقون** ﴾ فيه تنبيه علىٰ أنّ ما ليس من أعمال المتّقين لعب ولهو ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ أو ليس عقل كامل حيث تركتم الأعلىٰ للأدنىٰ مع العلم بالتفاوت بينهما.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٦٠، وهذه الآية ليست في الكافي.

(٣) في الكافي: عقابه.

(٤) سورة الصافات ٣٧: ١٣٦ ـ ١٣٨.

التدمير: الإهلاك، ﴿ **ثمّ دمّرنا الآخرين** ﴾ أهلكناهم، إشارة إلىٰ قصّة قوم لوط ﴿ **وإنّكم** ﴾ يا أهل مكّة ﴿ **لتمرّون عليهم** ﴾ أي علىٰ منازلهم في متاجركم إلىٰ الشام، فإنّ سدوم ـ قرية قوم لوط ـ التي هي بلدتكم في طريقه ﴿ **مصبحين** ﴾ أي داخلين في الصباح ﴿ **وبالليل** ﴾ أي: ومساءً، أو نهاراً وليلاً فليس فيكم عقل تعتبرون به.

(٥) سورة العنكبوت ٢٩: ٣٤ و ٣٥. وما بين المعقوفتين أثبتناه من الكافي.

يا هشام! ثمّ بيّن أنّ العقل مع العلم[١] فقال: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون**﴾[٢].

يا هشام! ثمّ ذمّ الّذين لا يعقلون فقال: ﴿**وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءَنا أَوَلو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون**﴾[٣].

(وقال: ﴿**إنّ شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم الّذين لا**

---

﴿**على أهل هذه القرية**﴾ أي قرية قوم لوط ﴿**رجزاً من السماء**﴾ أي عذاباً منهم، وآختلفوا فيه؛ فقيل: إنّه كان حجارة من سجّيل؛ وقيل: كان ناراً؛ وقيل: هو تقليب الأرض، وقد يوجّه هذا بأنّ المراد إنزال مبدئه والقضاء به من السماء لا عينه وهو تكلّف مستغنىً عنه.

﴿**بما كانوا يفسقون**﴾ أي بسبب استمرارهم على الفسق.

﴿**ولقد تركنا منها آية بيّنة**﴾ أي من القرية آية بيّنة دالّة على سوء حالهم وعاقبتهم؛ فقيل: هي قصّتها الشائعة؛ وقيل: هي آثار الديار الخربة؛ وقيل: هي الحجارة الممطورة بعد تقليب الأرض، فإنّها كانت باقية بعده؛ وقيل: هي الماء الأسود فإنّ أنهارها صارت مسودّة.

﴿**لقوم يعقلون**﴾ أي يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار.

(١) في الكافي: يا هشام! إنّ العقل مع العلم.

(٢) سورة العنكبوت ٢٩: ٤٣.

والظاهر أنّ المراد بالعقل هنا التدبّر في خلق الله وصنعه، والاستدلال به على وجوده وصفاته الكاملة.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٧٠.

﴿**وإذا قيل لهم**﴾ أي للناس الّذين سبق ذكرهم.

﴿**ألفينا**﴾ وجدنا، وفي الآية دلالة على وجوب إعمال البصيرة ولو في معرفة من يقلّده.

﴿**أَوَلو كان**﴾ أي لو كان آباؤهم جهلة.

﴿**لا يعقلون**﴾ أي من المعقولات، من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإن فهموا كثيراً من أُمور الدنيا.

﴿**ولا يهتدون**﴾ أي إلى طريق اكتسابه.

**يعقلون﴾**[١].

وقال: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾**[٢].

[وقال: **﴿ومثل الّذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلّا دعاءً ونداءً صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون﴾**[٣].

وقال: **﴿ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تُسمعُ الصمّ ولو كانوا لا يعقلون﴾**[٤].

---

(١) سورة الأنفال ٨: ٢٢.

(٢) سورة لقمان ٣١: ٢٥.

**﴿قل الحمد لله﴾** المحامد كلّها راجعة إليه لأنّ المنعم الحقيقي هو الله.

**﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾** ـ وفي رواية التحف: لا يعقلون ـ أي لا يفهمون ما يقولون وإنّما يقولونه تقليداً، أو لا يفهمون أنّ المحامد لله عزّ وجلّ، وذلك لأنّ فهم ذلك موقوف علىٰ العلم بتوحيد الأفعال وأنّ لا مؤثّر في الوجود إلّا الله وهذا علم غامض شريف حرم عنه الأكثرون، وورد (الحمد لله ملء الميزان). وما بين القوسين ليس في الكافي..

(٣) سورة البقرة ٢: ١٧١.

**﴿ومثل الّذين كفروا﴾** أي مثل داعيهم، أو مثل دعوتهم لأصنامهم أو مثلهم في عبادتهم لها في قلّة عقولهم أو في اتّباعهم لآبائهم في عدم الفائدة، والنعق مأخوذ من نعق الراعي بالغنم إذا صاح بها.

**﴿صمّ بكم عمي﴾** أي الكفّار صمّ بكم عمي عن الحقّ فهم لا يعقلون، للإخلال بالنظر الموجب للعلم.

(٤) سورة يونس ١٠: ٤٢، وفي المصدر: من يستمع إليك.

**﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾** أي إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يطيعونك فيها كالأصمّ الذي لا يسمع أصلاً.

**﴿أفأنت تسمع الصمّ﴾** وتقدر علىٰ إسماعه، ولو انضمّ علىٰ صممه عدم تعقّله شيئاً من الحقّ لقساوة قلبه.

وقال: ﴿أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً﴾[1].

وقال: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً إلّا في قرىً محصّنةٍ أو من وراء جُدُرٍ بأسهم بينهم شديدٌ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّىٰ ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون﴾[2].

---

(١) سورة الفرقان ٢٥ : ٤٤.

﴿أم تحسب﴾ أي: بل أتحسب أنّ أكثرهم يسمعون سماعاً ينتفعون به أو يعقلون أي يتدبّرون في ما تلوت عليهم.

﴿إن هم إلّا كالأنعام﴾ لعدم انتفاعهم بما قرع آذانهم.

﴿بل هم أضلّ سبيلاً﴾ وجه الأضلّية أنّ البهائم معذورة لعدم القابليّة والشعور، وكانت لهم تلك القابليّة فضيّعوها ونزّلوا أنفسهم منزلة البهائم، أو أنّ الأنعام أُلهمت منافعها ومضارّها، وهي لا تفعل ما يضرّها، وهٰؤلاء عرفوا طريق الهلاك والنجاة، وسعوا في هلاك أنفسهم، وأيضاً تنقاد لمن يتعهّدها وتميّز من يحسن إليها ممّن يسيء إليها، وهٰؤلاء لا ينقادون لربّهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتّقون العقاب الذي هو أشدّ المضارّ، ولأنّها إن لم تعتقد حقّاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً ولم تكتسب شرّاً، بخلاف هٰؤلاء، ولأنّ جهالتها لا تضرّ بأحدٍ، وجهالة هٰؤلاء تؤدّي إلىٰ هيج الفتن، وصدّ الناس عن الحقّ.

وأضاف المجلسي: أقول: أو لأنّها تعرف ربّها ولها تسبيح وتقديس كما وردت به الأخبار؛ وقيل: المراد إن شئت شبّهتهم بالأنعام فلك ذلك، بل لك أن تشبّههم بأضلّ منها كالسباع.

(٢) سورة الحشر ٥٩ : ١٤.

﴿لا يقاتلونكم﴾ نزلت في بني النضير من اليهود والّذين وافقوهم وراسلوهم من منافقي المدينة.

﴿جميعاً﴾ أي مجتمعين.

﴿إلّا في قرىً محصّنة﴾ أي بالدروب والخنادق.

﴿أو من وراء جُدُرٍ﴾ أي لفرط رهبتهم.

﴿بأسهم بينهم شديد﴾ أي ليس ذلك لضعفهم وجبنهم فإنّه يشتدّ بأسهم إذا

وقال: ﴿ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾[١] ][٢].

ثمّ ذمّ الكثرة فقال: ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله ﴾[٣].

وقال: ﴿ ولكنّ أكثرهم لا يعلمون ﴾[٤] وأكثرهم لا يشعرون[٥].

---

حارب بعضهم بعضاً، بل لقذف الله الرعب في قلوبهم، ولأنّ الشجاع يجبن، والعزيز يذلّ إذا حارب الله ورسوله.

﴿ تحسبهم جميعاً ﴾ أي مجتمعين متّفقين غير متفرّقين.

﴿ وقلوبهم شتّىٰ ﴾ أي متفرّقة لافتراق عقائدهم وآختلاف مقاصدهم.

﴿ ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون ﴾ أي ما فيه صلاحهم، وأنّ تشتّت القلوب يوهن قواهم.

(١) سورة البقرة ٢: ٤٤.

﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ صدر الآية ﴿ أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم ﴾.

والمراد بالكتاب القرآن علىٰ تقدير أن يكون الخطاب لطائفة من المسلمين، فإنّ فيه الوعيد علىٰ ترك البرّ والصلاح ومخالفة القول العمل، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ يا أيّها الّذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ [سورة الصفّ ٦١: ٢] أو التوراة علىٰ تقدير أن يكون الخطاب لأحبار اليهود، فإنّ الوعيد المذكور موجود في التوراة أيضاً كما قيل.

(٢) ما بين المعقوفتين أثبتناه من الكافي.

(٣) سورة الأنعام ٦: ١١٦.

«ثمّ ذمّ الكثرة» أي الكثير إطلاقاً، وإنّما ذكر عليه السلام ذلك ردّاً ممّا يتوهّم أكثر الخلق من أنّ كثرة من يذهب إلىٰ مذهب من شواهد حقيّته، أو لأنّه عليه السلام لمّا بيّن أنّ العقلاء الكاملين يتّبعون الحقّ فربّما يتوهّم منه أنّه إذا ذهب أكثر الناس إلىٰ مذهب فيكون ذلك المذهب حقّاً لوجود العقلاء فيهم، ويلزم من ذلك بطلان ما ذهب إليه الأقلّ كالفرقة الناجية، فأزال عليه السلام ذلك التوهّم بأنّه لا يلزم من الكثرة وجود العقلاء فيهم، فإنّ أكثر الناس لا يعقلون.

﴿ عن سبيل الله ﴾ أي عن دينه وشرعه في الأُصول والفروع.

(٤) سورة الأنعام ٦: ٣٧.

(٥) اقتباس بالمعنىٰ من آي القرآن الكريم.

يا هشام! ثمّ مدح القلّة فقال: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[١].

وقال: ﴿وقليلٌ ما هم﴾[٢].

وقال: ﴿وما آمن معه إلّا قليلٌ﴾[٣][٤].

---

«ثمّ مدح القلّة» استدلّ عليه السلام بالآيات الكريمة على مدحه قلّة المؤمنين وندرة وجودهم، وقد صرّحت الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بذلك، فقد قال أبو عبد الله عليه السلام: «المؤمنة أعزّ من المؤمن، والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟!».

ويعود السبب في هذه القلّة إلى أنّ الإيمان الحقيقي بالله من أعظم مراتب الكمال التي يصل إليها الإنسان، وهناك موانع كثيرة تحول دون الوصول إلى هذا الإيمان كانحطاط التربية وسوء البيئة وغيرهما من الحواجز التي تؤدّي إلى حجب الإنسان عن خالقه، وتماديه في الإثم.

(١) سورة سبأ ٣٤: ١٣.

(٢) سورة ص ٣٨: ٢٤.

(٣) سورة هود ١١: ٤٠.

(٤) نظراً لشدّة الاختلاف بين روايتي التحف والكافي في هاتين القطعتين نورد ما في الكافي كاملاً:

يا هشام! ثمّ ذمّ الله الكثرة فقال: ﴿وإن تطع أكثر مَنْ في الأرض يضلّوك عن سبيل الله﴾.

وقال: ﴿ولئن سألتهم مَنْ خلق السموات والأرض ليقولنّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [سورة لقمان ٣١: ٢٥].

وقال: ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ [سورة العنكبوت ٢٩: ٦٣].

يا هشام! ثمّ مدح القلّة فقال: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾.

وقال: ﴿وقليلٌ ما هم﴾.

وقال: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله﴾ [سورة غافر ٤٠: ٢٨].

وقال: ﴿ومن آمن وما آمن معه إلّا قليلٌ﴾.

يا هشام! ثمّ ذكر أُولي الألباب بأحسن الذكر، وحلّاهم بأحسن الحلية، فقال: ﴿ **يُؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً وما يذكّر إلّا أُولوا الألباب** ﴾[1].

---

وقال: ﴿ **ولكنّ أكثرهم لا يعلمون** ﴾.

وقال: ﴿ **وأكثرهم لا يعقلون** ﴾. [سورة المائدة ٥: ١٠٣].

وقال: «وأكثرهم لا يشعرون». (اقتباس بالمعنىٰ من آي القرآن الكريم).

**أقول**: قوله تعالىٰ: ﴿ **ولئن سألتهم** ﴾ الضمير راجع إلىٰ كفّار قريش وهم كانوا قائلين بأنّ خالق السماوات والأرض هو الله تعالىٰ، لكنّهم كانوا يشركون الأصنام معه تعالىٰ في العبادة.

﴿ **قل الحمد لله** ﴾ أي علىٰ إلزامهم وإلجائهم إلىٰ الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم، إذ لا يستحقّ العبادة إلّا الموجد المنعم بأُصول النعم وفروعها.

﴿ **بل أكثرهم لا يعقلون** ﴾ أي أنّهم لا يعلمون أنّه يلزمهم من القول بالتوحيد في العبادة، أو لا يعلمون ما اعترفوا به ببرهان عقليّ ودليل قطعيّ، لأنّ كونه تعالىٰ خالق السماوات والأرض نظريّ لا يُعلم إلّا ببرهان، وهم معزولون عن إدراكه، وإنّما اعترفوا به اضطراراً، أو لا علم لهم أصلاً حتّىٰ يقرّوا بالتوحيد بعدما أقرّوا بموجبه.

﴿ **أن يقول** ﴾ أي لأن يقول، أو وقت أن يقول.

(١) سورة البقرة ٢: ٢٦٩.

﴿ **أُولي الألباب** ﴾ اللبّ: العقل، وأُريد به هنا ذوي العقول الكاملة.

﴿ **ومن يؤت الحكمة** ﴾ الحكمة: هي من أعظم المواهب، ومن أجلّ الصفات؛ فقد قيل في تعريفها: إنّها العلم الذي تعظم منفعته، وتجلّ فائدته.

وروي عن الصادق عليه السلام أنّها طاعة الله ومعرفة الإمام.

وفي رواية أُخرىٰ عنه عليه السلام أنّها معرفة الإمام وآجتناب الكبائر التي أوجب الله تعالىٰ عليها النار.

وفي رواية أُخرىٰ عنه عليه السلام أنّها المعرفة والفقه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: رأس الحكمة مخافة الله.

وقال في المغرّب: الحكمة ما يمنع من الجهل.

وقال ابن دريد: كلّ ما يؤدي إلىٰ مكرمة أو يمنع من قبيح.

وقال: ﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذّكّر إلّا أُولوا الألباب** ﴾[1].

وقال: ﴿ **إنّ في خلق السمٰوات والأرض وآختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأُولي الألباب** ﴾[2].

وقال: ﴿ **أفمن يعلم أنّما أُنزل إليك من ربّك الحقّ كمن هو أعمىٰ إنّما يتذكّر أُولوا الألباب** ﴾[3].

---

وقال الشيخ البهائي رحمه الله: الحكمة ما يتضمّن صلاح النشأتين أو صلاح النشأة الأُخرىٰ، وأمّا ما تضمّن صلاح الحال في الدنيا فقط، فليس من الحكمة في شيء.

﴿ **فقد أُوتي خيراً كثيراً** ﴾ أي يدّخر له خير كثير في الدارين.

﴿ **وما يذّكّر** ﴾ أي وما يتّعض بما قصّ من الآيات أو ما يتفكّر، فإنّ المتفكّر كالمتذكّر لما أودع الله في قلبه من العلوم بالقوّة، أو ما يتنبّه بين من أُوتي الحكمة ومن لم يؤت إلّا أولو العقول الخالصة عن شوائب الوهم ومتابعة الهوىٰ.

(١) سورة آل عمران ٣: ٧.

﴿ **والراسخون في العلم** ﴾ أي الّذين ثبتوا وتمكّنوا فيه، من قولهم: رسخ الشيء رسوخاً ثبت، والمراد بهم النبيّ والأئمّة عليهم السلام.

﴿ **يقولون آمنّا به** ﴾ أي هٰؤلاء الراسخون العالمون بالتأويل يقولون: آمنّا بالمتشابه أو بكلّ القرآن محكمه ومتشابهه علىٰ التفصيل لعلمهم معانيه، وغيرهم إنّما يؤمنون به إجمالاً، وفي بعض الروايات أنّ القائلين هم الشيعة المؤمنون بالأئمّة عليهم السلام المسلّمون لهم.

﴿ **كلّ من عند ربّنا** ﴾ تأكيد للسابق، أي كلّ من المحكم والمتشابه من عنده تعالىٰ.

﴿ **وما يذّكّر إلّا أُولوا الألباب** ﴾ أي وما يعلم المتشابه، أو لا يتدبّر في القرآن إلّا الكاملون في العقول، أو ما يعرف الراسخين في العلم يعني النبيّ والأئمّة عليهم السلام وما يذّكّر حالهم إلّا أُولو الألباب يعني شيعتهم، وقد ورد عنهم عليهم السلام: إنّ شيعتنا أُولو الألباب.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٩٠.

(٣) سورة الرعد ١٣: ١٩.

وقال: ﴿أمّن هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربّه قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أُولوا الألباب﴾[1].

وقال: ﴿كتابٌ أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر أُولوا الألباب﴾[2].

وقال: ﴿ولقد آتينا موسىٰ الهدىٰ وأورثنا بني إسرائيل الكتاب * هدىً وذكرىٰ لأُولي الألباب﴾[3].

---

﴿كمن هو أعمىٰ﴾ أي أعمىٰ القلب، فاقد البصيرة، لا يهتدي إلىٰ الحقّ.

وقد دلّت الآية الشريفة علىٰ التعجّب والإنكار علىٰ من يدّعي المساواة بين العالِم بأحكام القرآن وبين غيره مع أنّ الفرق بينهما كالفرق بين الأعمىٰ والبصير، والحيّ والميّت!

(١) سورة الزمر ٣٩: ٩.

﴿أمّن هو قانت﴾ قائم بما يجب عليه من الطاعة.

﴿إنّما يتذكّر أُولوا الألباب﴾ أي إنّما يعلم كلّ الشريعة والمعارف الإلٰهيّة ومعارف القرآن كما هي أُولو العقول الكاملة البالغة إلىٰ أعلىٰ درجات الكمال وهم الأئمّة عليهم السلام، أو إنّما يتذكّر ويعلم الفرق بين العالِم المذكور والجاهل ذوو العقول الصافية، وهم شيعتهم، وقد ورد في أخبار كثيرة: أنّ الأئمّة عليهم السلام هم الّذين يعلمون، وأعداءهم الّذين لا يعلمون، وشيعتهم أُولو الألباب.

وقد دلّت الآية الشريفة علىٰ التفاوت بين من يسهر ليله في طاعة الله وبين غيره الذي يقضي أوقاته بالملاهي والملذّات وهو معرِض عن ذِكر الله، فكيف يكونان متساويين؟!

(٢) سورة ص ٣٨: ٢٩.

﴿ليدّبّروا آياته﴾ فيعرفوا معاني المحكمات، ثمّ يعرفوا بدلالتها علىٰ أهل الذكر عليهم السلام معاني المتشابهات بوساطتهم بالسماع منهم.

﴿وليتذكّر﴾ ويعلم جميع معانيه من محكماته ومتشابهاته بتوفيق الله تعالىٰ.

(٣) سورة غافر ٤٠: ٥٣ و ٥٤.

وقال: ﴿ **وذكّر فإنّ الذكرىٰ تنفع المؤمنين** ﴾[١].

يا هشام! إنّ الله تعالىٰ يقول في [كتابه][٢]: ﴿ **إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلبٌ** ﴾[٣] يعني: عقلٌ.

وقال: ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾[٤]، قال: الفهم والعقل.

يا هشام! إنّ لقمان قال لابنه: «تواضع للحقّ تكن أعقل الناس [وإنّ

---

﴿ **ولقد آتينا موسىٰ الهدىٰ** ﴾ أي ما يهتدي به في الدين من المعجزات والتوراة والشرائع.

﴿ **وأورثنا بني إسرائيل الكتاب** ﴾ أي وتركنا عليهم بعده التوراة.

﴿ **ذكرىٰ** ﴾ أي تذكرة أو مذكّراً.

﴿ **لأُولي الألباب** ﴾ أي لذوي العقول السليمة عن اتّباع الهوىٰ فإنّهم المنتفعون به.

(١) سورة الذاريات ٥١: ٥٥.

وقد خاطب الله تعالىٰ في هذه الآية نبيّه صلى الله عليه وآله بالاستمرار في الذكر وعدم الاعتناء بالجاهلين الّذين لا يعون ولا يتدبّرون دعوته، فإنّ شأنه صلى الله عليه وآله الإفاضة ونشر التعليم وبسط القوىٰ الروحية ولم ينتفع بذلك إلّا المؤمنون.

(٢) من الكافي.

(٣) سورة ق ٥٠: ٣٧.

ذكر عليه السلام أنّه ليس المراد بالقلب هو العضو الصنوبري الخاصّ الموجود في جوف الإنسان وسائر البهائم، بل المراد منه هو العقل الذي يدرك المعاني الكلّية والجزئية، ويتوصّل إلىٰ معرفة حقائق الأشياء، وهو في الحقيقة الكيان المعنوي للإنسان.

(٤) سورة لقمان ٣١: ١٢.

أشارت الآية إلىٰ نعمته تعالىٰ علىٰ لقمان فقد وهبه الحكمة وهي من أفضل النعم وأجلّها.

«الفهم والعقل» يعني إعطاء الله الفهم والعقل، وعليها مدار الحكمة، فكان إعطاؤهما إعطاؤها.

الكيّس لدىٰ الحقّ يسيرٌ][1].

يا بنيّ ! إنّ الدنيا بحرٌ عميقٌ ، قد غرق فيه عالم كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوىٰ الله ، وحشوها الإيمان ، وشراعها التوكّل ، وقيّمها العقل ، ودليلها العلم ، وسكّانها الصبر»[2].

---

(١) من الكافي .

(٢) «تواضع للحقّ» التواضع للحقّ هو أن لا يرىٰ الإنسان لنفسه وجوداً إلّا بالحقّ ولا قوّة له ولا لغيره إلّا بالله ، والتواضع من أفضل الأعمال ، وقد ورد عن النبي ﷺ أنّه قال : من تكبّر وضعه الله ، ومن تواضع لله رفعه الله . وإنّ الإنسان كلّما تجرّد عن الأنانيّة ومحا عن نفسه التكبّر زاده الله شرفاً وفضلاً .

«أعقل الناس» هم الأنبياء والأولياء ، ثمّ الأمثل فالأمثل .

«وإنّ الكيّس لدىٰ الحقّ يسير» إنّ كياسة الإنسان ـ وهي عقله وفطانته ـ يسير عند الحقّ لا قدر له ، وإنّما الذي له قدر عند الله هو التواضع والمسكنة والخضوع والافتقار إليه ، فكلّ علم وكمال لا يؤدّي بصاحبه إلىٰ مزيد فقر وحاجة إليه تعالىٰ يصير وبالاً عليه وكان الجهل والنقيصة أَوْلىٰ به ، ولذلك قيل : غاية مجهود العابدين تصحيح جهة الإمكان والفقر إليه تعالىٰ .

«إنّ الدنيا بحر عميق» شبّه لقمان الدنيا بالبحر ، ووجه الشبه تغيّر الدنيا وتغيّر أشكالها وصورها في كلّ لحظة ، فالكائنات التي فيها كالأمواج التي تكون في البحر معرضاً للزوال والفناء ، ويحتمل أن يكون وجه الشبه أنّ الدنيا كالبحر الذي يعبر عليه الناس ، فكذلك الدنيا يعبر عليها الناس إلىٰ دار الآخرة وتكون النفوس فيها كالمسافرين .

«قد غرق فيه عالم كبير» من الناس في هذه الدنيا ، وإنّما غرقوا لتهالكهم علىٰ الشهوات . وفي رواية الكافي : «فيها» بدل «فيه» .

«فلتكن سفينتك فيها تقوىٰ الله» وإذا كانت الدنيا بحراً توجب الغرق والهلاك ، فلا نجاة ولا سلامة إلّا بسفينة التقوىٰ والصلاح .

«وحشوها الإيمان» أي ما يخشىٰ فيها وتملأ منها .

«وشراعها التوكّل» علىٰ الله والاعتماد عليه في جميع الأُمور لا علىٰ الأسباب .

«وقيّمها العقل» قيّم السفينة ربّانها الذي نسبته إليها نسبة النفس إلىٰ البدن .

«ودليلها العلم» والعقل دليله العلم فإنّ نسبته إليه كنسبة النور من السراج والرؤية

يا هشام! لكلّ شيءٍ دليلٌ[١]، ودليل العقل[٢] التفكّر، ودليل التفكّر الصمت، ولكلّ شيءٍ مطيّة، ومطيّة العقل التواضع، وكفىٰ بك جهلاً أن تركب ما نُهيت عنه[٣].

(يا هشام! لو كان في يدك جوزةٌ وقال الناس في يدك لؤلؤة ما كان ينفعك وأنت تعلم أنّها جوزةٌ، ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس: إنّها جوزةٌ ما ضرّك وأنت تعلم أنّها لؤلؤة)[٤].

يا هشام! ما بعث الله أنبياءه ورسله إلىٰ عباده إلّا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابةً أحسنهم معرفةً (لله)[٥]، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً،

---

من البصر.

«وسكّانها الصبر» ومع هذه الخصال لا بُدّ من الصبر فإنّ ارتقاء الإنسان وقربه من ربّه لا يحصل إلّا بمجاهدات قويّة للنفس.

(١) في الكافي: يا هشام! إنّ لكلّ شيءٍ دليلاً.

(٢) وفي رواية التحف: «العاقل» بدل «العقل»، وكذا في الموضع الآتي.

(٣) «ودليل العقل» أي التفكّر في الإنسان يدلّ علىٰ عقله، كما أنّ صمته يدلّ علىٰ تفكّره، أو أنّ التفكّر يوصل العقل إلىٰ مطلوبه، وما يحصل له من المعارف والكمالات، وكذا الصمت دليل للتفكّر فإنّ التفكّر به يتمّ ويكمل.

«ومطيّة العقل التواضع» أي التذلّل والانقياد لله تعالىٰ في أوامره ونواهيه، أو الأعمّ من التواضع لله تعالىٰ أو للخلق، فإنّ من لم يتواضع يبقىٰ عقله بلا مطيّة، فيصير إلىٰ الجهل، أو لا يبلغ عقله إلىٰ درجات الكمال.

والمطيّة: الدابّة المركوبة التي تمطو في سيرها ـ أي تسرع ـ.

«أن تركب ما نُهيت عنه» لأنّ اشتغال النفس بالمحسوسات يوجب تقيّدها وتصوّرها بصورها الحسّية وهي حاجبة لها لا محالة عن المعقولات، والحجاب عن المعقولات عين الجهل.

(٤) «لو كان في يدك جوزة...» حاصله عدم الاغترار بمدح الناس والافتخار بثنائهم. وما بين القوسين ليس في الكافي.

(٥) ما بين القوسين ليس في الكافي.

يا هشام! من سلّط ثلاثاً على ثلاثٍ فكأنّما أعان (هواه)[١] على هدم عقله: من أظلم نور فكره[٢] بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنّما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه[٣].

يا هشام! كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت عقلك[٤] عن أمر ربّك، وأطعت هواك على غلبة عقلك[٥]؟

يا هشام! الصبر على الوحدة علامة قوّة العقل، فمن عقل عن الله تبارك وتعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب في ما عند

---

(١) ليس في الكافي.

(٢) في الكافي: تفكّره.

(٣) «بطول أمله» فإنّ طول العمل في الدنيا يمنع التفكّر في الأُمور الإلٰهيّة النوريّة، لأنّه يحمل النفس على التفكّر في الأُمور العاجلة وتحصيل أسبابها الظلمانية، فمن بدّل تفكّره في الأنوار الأُخرويّة والباقيات الصالحات بتفكّره في الظلمات الدنيويّة الناشئة عن طول أمله وحبّه للفانيات فقد أظلم نور تفكّره بطول أمله.

«بفضول كلامه» لأنّ للكلام حلاوة ولذّة وسكراً، يشغل النفس عن جهة الباطن ويجعل همّها مصروفاً إلى تحسين العبارات وتحريك القلوب بالنكات والإشارات، فيمحو به طرائف الحكمة عن قلبه.

«بشهوات نفسه» لأنّ حبّ الشيء يعمي ويصمّ عن إدراك غيره، فحبّ الشهوات يعمي القلب ويذهب بنور عبرته.

**والخلاصة**: إنّ في الإنسان قوّتين متباينتين؛ وهما: العقل والهوى، ولكلّ واحدة منهما صفات ثلاث تضادّ الصفات الأُخرى، فصفات العقل: التفكّر والحكمة والاعتبار، وصفات الهوى: طول الأمل وفضول الكلام والانغماس في الشهوات، فمن سلّط هذه الخصال الشريرة على نفسه فقد أعان على هدم عقله، ومن هدم عقله فقد أفسد دينه ودنياه.

(٤) في الكافي: قلبك.

(٥) «كيف يزكو» يطهر ويخلص وينمو.

«وأنت قد شغلت» بالأُمور الثلاثة المتقدّمة ـ صفات الهوى ـ.

ربّه[١]، وكان الله آنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعزّه في[٢] غير عشيرةٍ[٣].

يا هشام! نُصِبَ الخلق[٤] لطاعة الله، ولا نجاة إلّا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلُّم، والتعلُّم بالعقل يُعْتَقد، ولا علم إلّا من عالمٍ ربّانيّ، ومعرفة العالم[٥] بالعقل[٦].

---

(١) في الكافي: الله.

(٢) في الكافي: من.

(٣) «فمن عقل عن الله» بلغ عقله إلىٰ حدّ يأخذ العلم عن الله من غير تعليم بشر في كلّ أمر أمر.

«اعتزل أهل الدنيا» إذ لم يبق له رغبة في الدنيا وأهلها وإنّما يرغب في ما عند الله من الخيرات الحقيقيّة، والأنوار الإلٰهيّة، والإشراقات العقليّة، والابتهاجات الذوقيّة، والسكينات الروحيّة.

«كان الله آنسه» مؤنسه، إذ موجب الوحشة فقد المألوف وخلوّ الذات من الفضيلة والله تعالىٰ مألوفه وهو منبع كلّ خير وفضيلة.

«في العيلة» في الفاقة.

(٤) في الكافي: الحقّ.

(٥) في الكافي: «العلم» بدل «العالم».

(٦) «ونصب الحقّ [برواية الكافي]» يعني بالحقّ دين الحقّ، أي أُقيم الدين بإرسال الرسل، وإنزال الكتب ليطاع الله في أوامره ونواهيه.

«والطاعة بالعلم» آي العلم بكيفيّة الطاعة.

«والتعلُّم بالعقل يُعْتَقد» أي يشتدّ ويستحكم، أو من الاعتقاد: بمعنىٰ التصديق والإذعان.

«ولا علم» أي بكيفيّة الطاعة.

«إلّا من عالم ربّاني» أي بالتعلُّم منه دون الاجتهاد والرأي.

«ومعرفة العالم بالعقل» المراد هنا علم العالم، والغرض أنّ احتياج العلم إلىٰ العقل من جهتين لفهم ما يلقيه العالم، ولمعرفة العالم الذي ينبغي أخذ العلم عنه، ويحتمل أن يكون المعنىٰ أنّ العقل هو المميّز الفارق بين العلم اليقيني، وما يشبهه من الأوهام الفاسدة والدعاوىٰ الكاذبة، أو من الظنّ والجهل المركّب والتقليد.

يا هشام! قليل العمل من العالم[١] مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوىٰ والجهل مردودٌ[٢].

يا هشام! إنّ العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم[٣].

(يا هشام! إنّ كان يغنيك ما يكفيك فأدنىٰ ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيءٌ من الدنيا يغنيك)[٤].

يا هشام! إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب؟! وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض[٥].

[يا هشام! إنّ العاقل نظر إلىٰ الدنيا وإلىٰ أهلها فعلم أنّها لا تُنال إلّا

---

(١) في التحف: العاقل.

(٢) «قليل العمل...» مراده عليه السلام أنّ قليل العمل من العالم مقبول، وسببه أنّ بالعلم صفاء القلوب، وطهارة النفوس، والتوصّل إلىٰ معرفة الله عزّ شأنه.
وفضيلة كلّ عمل إنّما هي بقدر تأثيرها في صفاء القلب وإزالة الحُجُب والظلمة عن النفس، وهي تختلف بحسب الأشخاص، فربّ إنسان يكفيه قليل العمل في صفاء نفسه نظراً للطافة طبعه، ورقة حجابه، وربّ إنسان لا يؤثّر العمل الطيّب الذي يصدر منه في صفاء ذاته، نظراً لكثافة طبعه، وكثرة الحُجُب علىٰ نفسه.

(٣) «رضي بالدون من الدنيا» أي القليل واليسير منها، وهو قدر البلغة.
«مع الدنيا» وإن كانت وافية ولذتها كاملة.
«ربحت تجارتهم» إذ بدّلوا أمراً خسيساً فانياً بأمر شريف باقٍ.
وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف لاختار العاقل الخزف الباقي علىٰ الذهب الفاني» كيف والأمر علىٰ العكس من ذلك!

(٤) ما بين القوسين ليس في الكافي.

(٥) «تركوا فضول الدنيا» وإن كانت مباحة لأنّها تمنع عن مزيد الكرامة وكمال القرب من الله سبحانه، فكيف الذنوب الموروثة لاستحقاق المقت والعقوبة!

بالمشقّة، ونظر إلىٰ الآخرة فعلم أنّها لا تُنال إلّا بالمشقّة، فطلب بالمشقّة أبقاهما][1].

يا هشام! إنّ العقلاء زهدوا في الدنيا، ورغبوا في الآخرة، لأنّهم علموا أنّ الدنيا طالبةٌ ومطلوبةٌ، والآخرة طالبةٌ ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتّىٰ يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت، فيفسد عليه دنياه وآخرته[2].

يا هشام! من أراد الغنىٰ بلا مالٍ، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتضرّع إلىٰ الله عزّ وجلّ في مسألته بأن يُكملَ عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه آستغنىٰ، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنىٰ أبداً.

يا هشام! إنّ الله جلّ وعزّ حكىٰ عن قومٍ صالحين أنّهم قالوا: ﴿**ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنّك أنت الوهّاب**﴾[3] حين علموا أنّ القلوب تزيغ وتعود إلىٰ عماها

---

(١) ما بين المعقوفتين أثبتناه من الكافي.

(٢) «إنّ الدنيا طالبة» طالبية الدنيا عبارة عن إيصالها الرزق المقدّر إلىٰ من هو فيها ليكونوا فيها إلىٰ الأجل المقرّر، ومطلوبيّتها عبارة عن سعي أبنائها لها ليكونوا علىٰ أحسن أحوالها، وطالبية الآخرة عبارة عن بلوغ الأجل وحلول الموت لمن هو في الدنيا ليكونوا فيها، ومطلوبيّتها عبارة عن سعي أبنائها لها ليكونوا علىٰ أحسن أحوالها.

ولا يخفىٰ أنّ الدنيا طالبة بالمعنىٰ المذكور، لأنّ الرزق فيها مقدّر مضمون يصل إلىٰ الإنسان لا محالة، طلبه أو لا ﴿**وما من دابةٍ في الأرض إلّا علىٰ الله رزقها**﴾ [سورة هود ١١ : ٦].

وإنّ الآخرة طالبة أيضاً، لأنّ الأجل مقدّر كالرزق مكتوب ﴿**قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتّعون إلّا قليلاً**﴾ [سورة الأحزاب ٣٣ : ١٦].

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٨.

ورداها[١].

إنّه لم يَخَفِ الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه علىٰ معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلّا من كان قوله لفعله مصدّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً، لأنّ الله تبارك اسمه لم يدلّ علىٰ الباطن الخفي من العقل إلّا بظاهر منه، وناطق عنه[٢].

---

﴿لا تزغ﴾ الزيع: الميل والعدول عن الحقّ.

(١) «رداها» الردىٰ: الهلاك والضلال.

(٢) «لم يخف الله من لم يعقل عن الله» أي من لم يأخذ علمه عن الله كالأنبياء والأوصياء وكلّ من اقتبس من أنوارهم، وذلك لأنّ غيرهم إمّا مقلّد محض كالعامي، أو جدليّ ظانّ كالكلامي، وكلّ منهما لم يعرف أنّ الذي يصل إليه يوم القيامة إنّما هو من نتائج أخلاقه وتبعات أعماله التي لا تنفكّ عنها للعلاقة الذاتيّة بين الأشياء وأسبابها فلم يخش الله حقّ خشيته.

﴿إنّما يخشىٰ اللهَ من عباده العلماءُ﴾ [سورة فاطر ٣٥: ٢٨] أهل اليقين والبرهان وأهل الكشف والعيان، فإنّهم العارفون بأنّ الآخرة إنّما تنشأ من الدنيا علىٰ الإيجاب واللزوم علماً قطعيّاً من غير تخمين وجزاف، فهؤلاء هم الّذين عقدت قلوبهم علىٰ معرفة ثابتة غير قابلة للزوال.

«ولا يكون أحد كذلك» أي عالماً ربّانيّاً عاقلاً من الله.

«إلّا من كان قوله لفعله مصدّقاً» أي لا يدلّ قوله علىٰ خلاف ما يدلّ عليه فعله.

«لأنّ الله تبارك اسمه لم يدلّ...» إنّه عليه السلام ادّعىٰ أوّلاً أنّ الخوف من الله تعالىٰ خوفاً واقعيّاً يصير سبباً لترك الذنوب في جميع الأحوال، لا يكون إلّا بأن يرزق العبد من الله تعالىٰ عقلاً موهبيّاً يبصر حقيقة الخير والشرّ كما هي.

ثمّ بيّن عليه السلام ذلك بأنّ من لم يكن بهذه الدرجة من العقل لم يعقد قلبه علىٰ معرفة ثابتة للخير والشرّ يبصرها ويجد حقيقة تلك المعرفة في قلبه.

ثمّ بيّن أنّ تلك المعرفة الثابتة يلزمها أن يكون قول العبد موافقاً لفعله، وفعله موافقاً لسرّه وضميره، لأنّ الله تعالىٰ جعل ما يظهر علىٰ الجوارح دليلاً علىٰ ما في القلب، ويفضح المتصنّع بما يظهر من سوء قوله وفعله، فثبت بتلك المقدّمات ما ادّعىٰ عليه السلام من أنّ الخوف الواقعي لا يكون إلّا بالعقل عن الله.

يا هشام! كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما من شيءٍ عُبِدَ الله به أفضل من العقل[١][٢].

وما تمّ عقل امرئٍ حتّىٰ يكون فيه خصالٌ شتّىٰ: الكفر والشرّ منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا القوت، ولا يشبع من العلم دهره.

الذلّ أحبّ إليه مع الله من العزّ مع غيره، والتواضع أحبّ إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقلّ كثير المعروف من نفسه، ويرىٰ الناس كلّهم خيراً منه، وأنّه شرّهم في نفسه، وهو تمام الأمر[٣].

---

(١) في رواية الكافي: «ما عُبِدَ الله بشيءٍ أفضل من العقل» أي أفضل ما يتقرّب به العبد إلىٰ الله هو تكميل العقل باكتساب العلوم الحقيقيّة الأُخرويّة والمعارف اليقينيّة الباقية المأخوذة من الله سبحانه دون غيره من الطاعات والعبادات البدنيّة والماليّة والنفسيّة كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: يا علي! إذا تقرّب الناس إلىٰ خالقهم بأنواع البرّ فتقرّب أنت إليه بالعقل حتّىٰ تسبقهم.

(٢) أخرج هذه القطعة في عوالم العلوم ٢ / ٣١ ح ١٠ عن التحف.

(٣) «وما تمّ عقل امرئٍ» يحتمل أن يكون من كلام أمير المؤمنين وأن يكون من كلام أبي الحسن الكاظم عليه السلام وعلىٰ التقديرين فالمنبع واحد، ذرّيّة بعضها من بعض.

«الكفر والشرّ منه مأمونان» الكفر في الاعتقاد، والشرّ في القول والفعل، والكلّ ينشأ من الجهل المنافي للعقل.

«والرشد والخير منه مأمولان» كذلك لكونه مهتدياً صالحاً وهادياً للخلق مصلحاً لهم، والكلّ ناشئ من العقل.

«وفضل ماله مبذول» لاستغنائه بالحقّ عن كلّ شيء.

«وفضل قوله مكفوف» لمنافاته طرائف الحكمة.

«نصيبه من الدنيا القوت» لأنّ الدنيا فانية دائرة مستعارة لا تأتي بخير.

«لا يشبع من العلم دهره» إذ لا نهاية له، وفيه إشارة إلىٰ أنّ العلم غذاء الروح، به يتقوّىٰ ويكمل، وبه حياته.

«الذلّ أحبّ إليه مع الله من العزّ مع غيره» لعلمه بأنّ العزّة لله جميعاً بالذات

(يا هشام، من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت نيّته زيد في رزقه، ومن حسن برّه بإخوانه وأهله مُدّ في عمره.

يا هشام! لا تمنحوا الجهّال الحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم.

يا هشام! كما تركوا لكم الحكمة فاتركوا لهم الدنيا)[1].

[يا هشام! إنّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه][2].

يا هشام! لا دين لمن لا مروّة له، ولا مروّة لمن لا عقل له، وإنّ أعظم الناس قدراً الذي لا يرىٰ الدنيا لنفسه خطراً، أما إنّ أبدانكم ليس لها

---

ولما سواه بالعرض، فالعزيز من أعزّه الله، فمن كان مع الله بالفناء عن نفسه كان عزيزاً بعزّة الله فضلاً عن كونه عزيزاً بإعزازه، ومن كان مع غيره كان ذليلاً مثله.

«والتواضع أحبّ إليه من الشرف» لأنّه أنسب إلىٰ العبوديّة وأدخل في تصحيح تلك السُنّة والتحقّق بها.

«يستكثر قليل المعروف من غيره» تخلّقاً بأخلاق الله في تضعيفه لحسنات العباد.

«ويستقلّ كثير المعروف من نفسه» لكرامة نفسه وآتّصاله بمنبع الجود والخير.

«ويرىٰ الناس كلّهم خيراً منه» لحسن ظنّه بعباد الله وحمله ما صدر منهم علىٰ المحمل الصحيح لسلامة صدره، ولِما رأىٰ من محاسن ظواهرهم، دون ما خفي من بواطنهم، فيراهم أحسن أحوالاً منه.

«وأنّه شرّهم في نفسه» لاطّلاعه علىٰ دقائق عيوب نفسه.

«وهو تمام الأمر» أي رؤية الناس خيراً ونفسه شرّاً تمام الأمر لأنّها موجبة للاستكانة والتضرّع التامّ إلىٰ الله تعالىٰ والخروج إليه بالفناء عن هذا الوجود المجازي الذي كلّه ذنب وشرّ كما قيل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب.

(١) ما بين القوسين ليس في الكافي.

«لا تمنحوا الجهّال الحكمة» المنحة: العطاء، أي لا تعطوهم ولا تعلّموهم.

(٢) ما بين المعقوفتين أثبتناه من الكافي.

ثمن إلّا الجنّة ، فلا تبيعوها بغيرها[١] .

يا هشام ! إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : «إنّ من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصالٍ : يجيب إذا سُئل ، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله ، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق» .

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : «لا يجلس في صدر المجلس إلّا رجلٌ

---

(١) «لا دين لمن لا مروّة له» المروّة : الإنسانيّة وكمال الرجوليّة ، وهي الصفة الجامعة لمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .

«ولا مروّة لمن لا عقل له» لأنّ من لا عقل له لا يكون عارفاً بما ينبغي أن يفعله ويليق به وما لا ينبغي ولا يليق ، فربّما يترك اللائق ويأتي بما لا ينبغي ، ومن كان كذلك لا يكون ذا مروّة ولا دين .

«خطراً» الخطر : الحظ والنصيب والقدر والمنزلة ، والسبق الذي يتراهن عليه .

«أما إنّ أبدانكم . . .» أي ما يليق أن يكون ثمناً لها ، شبّه استعمال البدن في المكتسبات الباقية ببيعها بها ، وذلك لأنّ الأبدان في التناقص يوماً فيوماً لتوجّه النفس منها إلىٰ عالم آخر ، فإن كانت النفس سعيدة كانت غاية سعيه في هذه الدنيا وآنقطاع حياته الدنيّة إلىٰ الله سبحانه ، وإلىٰ نعيم الجنّة ، لكونه علىٰ منهج الهداية والاستقامة فكأنّه باع بدنه بثمن الجنّة معاملة مع الله تعالىٰ ، ولهذا خلقه الله عزّ وجلّ .

وإن كانت شقيّة كانت غاية سعيه وآنقطاع أجله وعمره إلىٰ مقارنة الشيطان وعذاب النيران لكونه علىٰ طريق الضلالة ، فكأنّه باع بدنه بثمن الشهوات الفانية واللذّات الحيوانية التي ستصير نيراناً محرقة مؤلمة وهي اليوم كامنة مستورة عن حواسّ أهل الدنيا ، وستبرز يوم القيامة ﴿ **وبرّزت الجحيم لمن يرىٰ** ﴾ [سورة النازعات ٧٩ : ٣٦] معاملة مع الشيطان ﴿ **وخسر هنالك المبطلون** ﴾ [سورة غافر ٤٠ : ٧٨] .

وقيل : جعل الجنّة ثمن البدن إشارة إلىٰ أنّ ثمن النفس المجرّدة والأرواح القدسيّة هو الله سبحانه ، والفناء المطلق فيه وفي مشاهدة نور وجهه الكريم وفي إضافة البدن إلىٰ ضمير الخطاب دلالة علىٰ أنّ النفس الناطقة التي هي الإنسان حقيقة ، جوهر آخر وراء البدن .

فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهنّ، فمن لم يكن فيه شيءٌ منهنّ فجلس فهو أحمق»[١][٢].

وقال الحسن بن عليّ عليهما السلام: «إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها».

قيل: يا آبن رسول الله، ومن أهلها؟

قال: «الّذين قصّ الله[٣] في كتابه وذكرهم، فقال: ﴿**إنّما يتذكّر أُولوا الألباب**﴾[٤] قال: هم أُولو العقول»[٥].

وقال عليّ بن الحسين عليهما السلام: «مجالسة الصالحين داعية إلىٰ الصلاح،

---

(١) في التحف: يا هشام! إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «لا يجلس في صدر المجلس إلّا رجلٌ فيه ثلاث خصالٍ: يجيب إذا سُئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شيءٌ منهنّ فجلس فهو أحمق».

(٢) «يجيب إذا سُئل» أي يجيب في نفس الوقت، ويكون قادراً علىٰ الجواب عمّا يسأل.

«وينطق إذا عجز القوم عن الكلام» أي ينطق في محلّه ولا يعجز عنه.

«ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله» أي يكون مشيراً بالرأي الذي فيه صلاح القوم، وعارفاً بصلاحهم وآمراً به.

«فمن لم يكن...» إشارة إلىٰ أنّ العاقل حازم لا يتكلّم إلّا إذا دعته ضرورة إلىٰ الكلام، لأنّ مواضع الكلام الضروري تنحصر في هذه الثلاثة إذا كان لمصلحة الغير.

«صدر المجلس» المراد إمّا معناه المعروف، أو مكان من يراجع الناس إليه لحوائجهم فيستحقّ أن يعظّموه ويوقّروه.

(٣) في بعض نسخ الكافي: نصّ الله.

(٤) سورة الزمر ٣٩: ٩.

(٥) «إذا طلبتم الحوائج» أي الدينيّة والدنيويّة، وآختصاص الأُولىٰ بأُولي العقول ظاهر، وأمّا الثانية فللذلّ الذي يكون في رفع الحاجة إلىٰ الناقص في الدين، ولعدم الأمن من حمقه، فربّما يمنعه أو يأتي بما ضرّه أكثر من نفعه.

وأدب العلماء[١] زيادةٌ في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العزّ، وآستثمار المالْ تمام المروّة، وإرشاد المستشير قضاء لحقّ النعمة، وكفّ الأذىٰ من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً»[٢].

يا هشام! إنّ العاقل لا يحدّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يَعدُ ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنّف برجائه،

---

(١) وفي رواية الكافي: وآداب العلماء.

(٢) «مجالسة الصالحين داعية إلىٰ الصلاح» كلامه عليه السلام هذا ترغيب المعاشرة مع الناس، والمؤانسة بهم، وآستفادة كلّ فضيلة من أهلها، وزجر عن الاعتزال والانقطاع اللذَين هما منبت النفاق، ومغرس الوسواس، والحرمان عن المشرب الأتمّ المحمّدي، والمقام المحمود الجمعي، والكأس الأوفىٰ، والقدح المعلّىٰ الموجب لترك كثير من الفضائل والخيرات وفوت السنن الشرعيّة وآداب الجمعة والجماعات وآنسداد أبواب مكارم الأخلاق والحسنات، والتعرّي عن حلية الكمالات النفسانيّة الحاصلة بالسياسات والتعطّل عن اكتساب العلوم، وآستيضاح المبهمات، وآستكشاف المشكلات، وحلّ الشبهات، والتبرّك بصحبة العلماء، وخدمة المشايخ والكبراء للمبتدئ والمتوسّط، والفوز بسعادة الشيخوخة والتأديب والإصلاح للمنتهي والكامل، إلىٰ غير ذلك.

«وأدب العلماء» أي مجالستهم، وتعلّم آدابهم، والنظر إلىٰ أفعالهم، والتخلّق بأخلاقهم موجبة لزيادة العقل، والحمل علىٰ رعاية الآداب في مجالسة العلماء لا يخلو من بعد.

«وآستثمار المال» أي استنماؤه بالتجارة والمكاسب دليل تمام الإنسانيّة، وموجب له أيضاً، لأنّه لا يحتاج إلىٰ غيره ويتمكّن من أن يأتي بما يليق به.

«قضاء» أي شكر لحقّ نعمة أخيه عليه، حيث جعله موضع مشورته، أو شكر لنعمة العقل وهي من أعظم النعم.

«وكفّ الأذىٰ» سواء كان أذىٰ نفسه أو أذىٰ غيره، فيشمل التنزّه عن مساوئ الأخلاق كلّها، وصاحبه أفضل أصناف البشر، لجمعه بين الرئاستين العلميّة بقوّة البصيرة، والعمليّة بكمال القدرة، ولهذا عدّه من كمال العقل.

«وفيه راحة البدن» بدن نفسه وبدن غيره.

أخرج هذه القطعة في بحار الأنوار ٧٨/١٤١ ح ٣٥ عن التحف.

ولا يتقدّم على ما يخاف العجز عنه[١][٢].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي أصحابه يقول: أُوصيكم بالخشية من الله في السرّ و العلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكتساب في الفقر والغنىٰ، وأن تصلوا من قطعكم، وتعفوا عمّن ظلمكم، وتعطفوا[٣] علىٰ من حرمكم، وليكن نظركم عبراً، وصمتكم فكراً، وقولكم ذِكراً، وطبيعتكم السخاء، فإنّه لا يدخل الجنة بخيلٌ، ولا يدخل النار سخي»[٤].

يا هشام! رحم الله من استحيىٰ من الله حقّ الحياء، فحفظ الرأس وما حوىٰ، والبطن وما وعىٰ، وذكر الموت والبلىٰ[٥]، وعلم أنّ الجنّة محفوفة

---

(١) «ولا يَعدُ ما لا يقدر عليه» الأظهر فيه التخفيف من الوعد، وإن قرئ بالتشديد من الإعداد، فمعناه لا يمهّد أمراً من الأُمور حتّىٰ يعلم أنّه قادر علىٰ إتمامه والبلوغ إلىٰ غايته.

«ولا يرجو ما يعنّف برجائه» التعنيف: التوبيخ والتقريع واللوم، أي العاقل لا يرجو فوق ما يستحقّه، ولا يتطلّع إلىٰ ما لم يستعدّه.

في رواية الكافي: ولا يقدم علىٰ ما يخاف فوته بالعجز عنه.

«ولا يتقدّم علىٰ ما يخاف» أي لا يفعل فعلاً قبل أوانه مبادراً إليه خوفاً من أن يفوته في وقته بسبب عجزه عنه، بل يفوّض أمره إلىٰ الله.

وبهذا فقد أشار الإمام عليه السلام إلىٰ حزم العاقل وآحتياطه في أقواله وتحفّظه علىٰ شرفه ومنزلته، وتوقّفه من الإقدام علىٰ ما لا يثق بحصوله.

(٢) إلىٰ هنا تنتهي الوصيّة في الكافي ١/ ١٣ ـ ٢٠ ح ١٢، الوافي ١/ ٨٦ ـ ١٠٦ ح ١٦، مرآة العقول ١/ ٣٨ ـ ٦٤ ح ١٢.

(٣) في بعض النسخ وبحار الأنوار: وتعطوا.

(٤) «في السرّ والعلانية» بالنظر إلىٰ الخلق.

«في الرضا والغضب» أي سواء كان راضيّاً عمّن يعدل فيه أو ساخطاً عليه، والحاصل أن لا يصير رضاه عن أحد أو سخطه عليه سبباً للخروج عن الحقّ.

«والاكتساب» يحتمل اكتساب الدنيا والآخرة.

(٥) «وما حوىٰ» أي ما حواه الرأس، من العين والأُذن واللسان وسائر المشاعر بأن يحفظها عمّا يحرم عليه.

بالمكاره ، والنار محفوفة بالشهوات[١] .

يا هشام ! من كفّ نفسه عن أعراض الناس أقاله الله عثرته يوم القيامة ، ومن كفّ غضبه عن الناس كفّ الله عنه غضبه يوم القيامة[٢] .

يا هشام ! إنّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه .

يا هشام ! وُجِدَ في ذؤابة سيف رسول الله ﷺ : إنّ أعتىٰ الناس علىٰ

---

﴿ «والبطن وما وعىٰ» أي ما جمعه من الطعام والشراب بأن لا يكونا من حرام .
«البلىٰ» الاندراس والاضمحلال في القبر .
قال في النهاية ٥ / ٢٠٧ : الاستحياء من الله حقّ الحياء : أن لا تنسوا المقابر والبلىٰ ، والجوف وما وعىٰ : أي ما جمع من الطعام والشراب حتّىٰ يكونا من حلّهما .

(١) «محفوفة بالمكاره» المحفوفة : المحيطة . والمكاره : جمع مكرهة ، ما يكرهه الإنسان ويشقّ عليه . والمراد أنّ الجنّة محفوفة بما تكره النفس من الأقوال والأفعال فتعمل بها ، فمن عمل بها دخل الجنّة .
«والنار محفوفة بالشهوات» أي محفوفة بلذّات النفس وشهواتها ، فمن أعطىٰ نفسه لذّاتها وشهوتها دخل النار .
أشار عليه السلام إلىٰ الحديث المتواتر المشهور «حفّت الجنّة بالمكاره (بالشهوات) ، وحفّت النار بالشهوات (بالمكاره)» والمرويّ عن النبي ﷺ والأئمّة من آله عليهم السلام ، انظر :
الزهد ـ لابن المبارك ـ : ٣٢٥ / ٩٢٥ ، مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٢٦٠ و ٣٨٠ ، و ٣ / ١٥٣ و ٢٥٤ و ٢٨٤ ، سنن الدارمي ٢ / ٣٣٩ ، الجامع الصحيح للترمذي ٤ / ٦٩٣ ح ٢٥٥٩ ، الشريعة ـ للآجري ـ : ٣٩٠ ، الكامل في ضعفاء الرجال ٥ / ١٧٩٦ ، و ٧ / ٢٦٦١ ، تاريخ بغداد ٤ / ٢٥٥ ، و ٨ / ١٨٤ ، شرح السُنّة : ٥١٦ ، الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٢٨ ، البداية والنهاية ١٢ / ١٣ (صدره) ، المغني عن حمل الأسفار ٤ / ٥٧ (المطبوع مع إحياء علوم الدين) ، الدرر المنتثرة في الأحاديث المنتشرة ٦٦ / ١٩٣ ، كنز العمّال ٣ / ٣٣٢ ح ٦٨٠٥ ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١ / ٤١٦ ح ١١٠٧ و ٤٣٤ ح ١١٥٢ ، إتحاف السادة المتّقين ٨ / ٦٢٦ .

(٢) «أقاله الله عثرته» العثرة : الزلّة ، والمراد المعاصي ، والإقالة في الأصل فسخ البيع بطلب المشتري : والاستقالة طلب ذلك ، والمراد هنا تجاوز الله وترك العقاب الذي اكتسبه العبد بسوء فعله فكأنّه اشترىٰ العقوبة وندم فاستقال .

الله من ضرب غير ضاربه ، وقتل غير قاتله ، ومن تولّىٰ غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله علىٰ نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله ، ومن أحدث حدثاً ، أو آوىٰ محدثاً لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً[1] .

يا هشام ! أفضل ما يتقرّب به العبد إلىٰ الله بعد المعرفة به : الصلاة ، وبرّ الوالدين ، وترك الحسد والعُجُب والفخر[2] .

يا هشام ! أصلح أيّامك الذي هو أمامك ، فانظر أيّ يوم هو ؟ وأعدّ له الجواب ، فإنّك موقوف ومسؤول ، وخذ موعظتك من الدهر وأهله ، فإنّ الدهر طويلة قصيرة ، فاعمل كأنّك ترىٰ ثواب عملك لتكون أطمع في ذلك ، وآعقل عن الله وآنظر في تصرّف الدهر وأحواله ، فإنّ ما هو آتٍ من

---

(١) «ذؤابة السيف» ما يعلّق عليه لحفظ الضروريّات .

«أعتىٰ الناس» من العتوّ ، وهو البغي والتجاوز عن الحقّ والتكبّر .

«غير قاتله» أي مريد قتله ، أو قاتل مورّثه .

«ومن تولّىٰ غير مواليه» أي المعتق الذي انتسب إلىٰ غير معتقه ، أو ذو النسب الذي تبرّأ عن نسبه ، أو الموالي في الدين من الأئمّة المؤمنين ، بأن يجعل غيرهم وليّاً له ويتّخذه إماماً .

«من أحدث حدثاً . . .» قال في النهاية ١ / ٣٥١ : من أحدث فيها حدثاً ، أو آوىٰ محدثاً ، الحدث : الأمر الحادث المنكَر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السُّنّة ، والمحدث يروي بكسر الدال وفتحها علىٰ الفاعل والمفعول ، فمعنىٰ الكسر : من نصر جانياً وآواه وأجازه من خصمه ، وحال بينه وبين أن يُقتصّ منه ؛ والفتح : هو الأمر المبتدع نفسه ، ويكون معنىٰ الإيواء فيه الرضا به والصبر عليه ، فإنّه إذا رضي بالبدعة وأقرّ فاعلها ولم ينكرها عليه فقد آواه .

«صرفاً ولا عدلاً» قال الفيرزآبادي في القاموس المحيط ٣ / ١٦١ : الصرف في الحديث : التوبة ؛ والعدل : الفدية أو النافلة ، والعدل : الفريضة ، أو بالعكس ، أو هو الوزن ، والعدل : الكيل . أو هو الاكتساب ، والعدل : الفدية أو الحيلة . انتهىٰ .

(٢) «أفضل ما يتقرّب به العبد . .» يمكن إدخال جميع العقائد الضروريّة في المعرفة لا سيّما مع عدم الظرف كما ورد في الأخبار الكثيرة بدونه .

الدنيا، كما ولّى منها، فاعتبر بها[١].

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «إنّ جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الأرض ومغاربها، بحرها وبرها، وسهلها وجبلها، عند وليّ من أولياء الله وأهل المعرفة بحقّ الله كفيء الظلال»[٢].

ثمّ قال عليه السلام: «أوَلا حُرٌّ يدع هذه اللماظة لأهلها ـ يعني الدُّنيا ـ؟! فليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنة فلا تبيعوها بغيرها، فإنّه من رضي من الله بالدنيا فقد رضي بالخسيس»[٣].

يا هشام! إنّ كلّ الناس يبصر النجوم، ولكن لا يهتدي بها إلّا من يعرف مجاريها ومنازلها، وكذلك أنتم تدرسون الحكمة، ولكن لا يهتدي بها منكم إلّا من عمل بها[٤].

---

(١) «أصلح أيّامك...» طول الدهر في نفسه لا ينافي قصره بالنسبة إلىٰ كلّ شخص، أي خذ موعظتك من الدهور الماضية، والأزمان الخالية، ويحتمل أن يكون عمر كلّ شخص باعتبارين.

(٢) «كفيء الظلال» يحتمل أن يكون في الأشياء ذوات الأظلال، كالشجر والجدار ونحوهما، أو المراد التشبيه بالفيء الذي هو نوع من الظلال، فإنّ الفيء لحدوثه أشبه بالدنيا من سائر الظلال، أو لما فيه من الإشعار بالتفيّؤ والتحوّل والانتقال أي الظلال المتفيّأة المتحوّلة.

(٣) «اللماظة» ما يبقىٰ في الفم من الطعام، ومنه قول الشاعر يصف الدنيا: لماظة أيّام كأحلام نائم.

لا يخفىٰ حسن هذا التشبيه إذ كلّ ما يتيسّر لك من الدنيا فهو لماظة من قد أكلها قبلك، وآنتفع بها غيرك أكثر من انتفاعك، وترك فاسدها لك.

(٤) «إنّ كلّ الناس يبصر بالنجوم...» لمّا كان من معظم الانتفاع بالنجوم معرفة الأوقات، وجهة الطريق في الأسفار وأمثالها، ولا تتمّ معرفة تلك الأُمور إلّا بكثرة تعاهد النجوم لتعرف مجاريها ومنازلها ومطالعها ومغاربها ومقدار سيرها، كذلك الحكمة لا ينتفع بها إلّا بكثرة تعاهدها وآستعمالها لتُعرف فوائدها وآثارها.

يا هشام! إنّ المسيح عليه السلام قال للحواريّين: «يا عبيد السوء! يهولكم طول النخلة، وتذكرون شوكها ومؤونة مراقيها، وتنسون طيب ثمرها ومرافقها، كذلك تذكرون مؤونة عمل الآخرة فيطول عليكم أمده، وتنسون ما تفضون إليه من نعيمها ونورها وثمرها[١].

يا عبيد السوء! نقّوا القمح وطيّبوه وأدقّوا طحنه تجدوا طعمه ويهنئكم أكله، كذلك فأخلصوا الإيمان وأكملوه تجدوا حلاوته وينفعكم غبّه[٢].

بحقّ أقول لكم: لو وجدتم سراجاً يتوقّد بالقطران في ليلةٍ مظلمةٍ لاستضأتم به ولم يمنعكم منه ريح نتنه، كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممّن وجدتموها معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها[٣].

يا عبيد الدنيا! بحقّ أقول لكم: لا تدركون شرف الآخرة إلّا بترك ما تحبّون، فلا تنظروا بالتوبة غداً، فإنّ دون غدٍ يوماً وليلة وقضاء الله فيهما يغدو ويروح[٤].

---

(١) «يهولكم» أي يفزعكم ويعظم عليكم.
«ومؤونة مراقيها» أي شدّة الارتقاء عليها.
«ومرافقها» المنافع، وهي جمع مرفق ـ بالفتح ـ: ما انتفع به.
«أمده» الأمد: الغاية ومنتهىٰ الشيء، يقال: طال عليهم الأمد، أي الأجل.
«ما تفضون إليه» يقال: أفضىٰ إليه، أي وصل.
«ونورها» النور: الزهرة.

(٢) «ويهنئكم أكله» أي لا يعقب أكله مضرّة.
«غبّه» غبّ كلّ شيء: عاقبته.

(٣) «بالقطران» القطران ـ بفتح القاف وكسرها وسكون الطاء، وبفتح القاف وكسر الطاء ـ: دهن منتن يستجلب من شجر الأبهل فيهنأ به الإبل الجربىّ ـ وهو داء يحدث في الجلد بثوراً صغاراً لها حكّة شديدة ـ، ويسرع فيه إشتعال النار.
«سوء رغبته» أي ترك عمله بتلك الحكمة.

(٤) «فلا تنظروا بالتوبة غداً» الإنظار: التأخير.

بحقّ أقول لكم: إنّ من ليس عليه دَين من الناس أروح وأقل همّاً ممّن عليه الدَين وإنْ أحسن القضاء، وكذلك من لم يعمل الخطيئة أروح[١] همّاً ممّن عمل الخطيئة وإنْ أخلص التوبة وأناب، وإنّ صغار الذنوب ومحقّراتها[٢] من مكائد إبليس، يحقّرها لكم ويصغّرها في أعينكم فتجتمع وتكثر فتحبط بكم.

بحقّ أقول لكم: إنّ الناس في الحكمة رجلان: فرجل أتقنها بقوله وصدّقها بفعله، ورجل أتقنها بقوله وضيّعها بسوء فعله، فشتّان بينهما، فطوبىٰ للعلماء بالفعل، وويل للعلماء بالقول.

يا عبيد السوء! اتّخذوا مساجد ربّكم سجوناً لأجسادكم وجباهكم، وآجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوىٰ، ولا تجعلوا قلوبكم مأوىً للشهوات، إنّ أجزعكم عند البلاء لأشدّكم حبّاً للدنيا، وإنّ أصبركم علىٰ البلاء لأزهدكم في الدنيا.

يا عبيد السوء! لا تكونوا شبيهاً بالحداء الخاطفة، ولا بالثعالب الخادعة، ولا بالذئاب الغادرة، ولا بالأُسد العاتية، كما تفعل بالفرائس[٣]، كذلك تفعلون بالناس، فريقاً تخطفون، وفريقاً تخدعون، وفريقاً تغدرون بهم[٤].

---

«يغدو» أي ينزل أوّل النهار، «ويروح» أي ينزل آخر النهار، وهو كناية عن الموت فإنّه يأتي في الغداة والرواح.

(١) «أروح» أي أكثر راحة.

(٢) في بعض النسخ: ومحقّرتها.

(٣) في بحار الأنوار: بالفراس.

(٤) «لا تكونوا شبيهاً بالحداء الخاطفة» الحداء: جمع الحدأة: نوع من الجوارح يخطف الأشياء بسرعة.

بحقّ أقول لكم: لا يغني عن الجسد أن يكون ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً، كذلك لا تغني أجسادكم التي قد أعجبتكم وقد فسدت قلوبكم، وما يغني عنكم أن تنقّوا جلودكم وقلوبكم دنسة[١].

لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيّب ويمسك النخالة، كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقىٰ الغلّ في صدوركم[٢].

يا عبيد الدنيا! إنّما مثلكم مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه.

يا بني إسرائيل! زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثواً علىٰ الركب، فإنّ الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر[٣].

يا هشام! مكتوب في الإنجيل: «طوبىٰ للمتراحمين، أُولئك هم المرحومون يوم القيامة، طوبىٰ للمصلحين بين الناس، أُولئك هم المقرّبون يوم القيامة، طوبىٰ للمطهّرة قلوبهم، أُولئك هم المتّقون يوم القيامة، طوبىٰ للمتواضعين في الدنيا، أُولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة»[٤].

---

﴿ «ولا بالأُسد العاتية» الأُسد: جمع أسد. والعاتية: أي الظالمة الطاغية المتكبّرة.
«كما يفعل» أي الأُسد أو جميع ما تقدّم.
«فريقاً تخطفون...» علىٰ سبيل اللفّ والنشر، ولمّا ذكر الافتراس أوّلاً لم يذكر آخراً.

(١) «لا يغني عن الجسد» أي لا ينفعه، ولا يدفع عنه سوءاً.

(٢) «المنخل» ـ بضمّ الميم والخاء، وقد تفتح خاؤه ـ: ما ينخل به.
و«النخالة» ما بقي في المنخل من القشر ونحوه.

(٣) «زاحموا العلماء في مجالسهم» أي ضايقوهم وآدخلوا في زحامهم.
«جثواً علىٰ الرُكب» جثا يجثو، وجثىٰ يجثي: جلس علىٰ ركبتيه، أو قام علىٰ أطراف الأصابع.
وفي بعض النسخ: حبواً: أي زحفاً علىٰ الرُكب، وحبا يحبو، وحبىٰ يحبي: إذا مشىٰ علىٰ أربع.
«بوابل المطر» الوابل: المطر الشديد الضخم القطر.

(٤) «أُولئك هم المتّقون يوم القيامة» تخصيص كونهم من المتّقين بيوم القيامة، لأنّ ﴾

يا هشام! : قلّة المنطق حكم عظيم، فعليكم بالصمت، فإنّه دعة حسنة، وقلّة وزرٍ، وخفّة من الذنوب، فحصّنوا باب الحلم، فإنّ بابه الصبر، وإنّ الله عزّ وجلّ يبغض الضحّاك من غير عجبٍ والمشّاء إلىٰ غير إربٍ، ويجب علىٰ الوالي أن يكون كالراعي لا يغفل عن رعيّته ولا يتكبّر عليهم، فاستحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم، وآعلموا أنّ الكلمة من الحكمة ضالّة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعه غيبة عالِمكم بين أظهركم[1][2].

يا هشام! تعلّم من العلم ما جهلت، وعلّم الجاهل ممّا عُلّمت، عظّم العالِم لعلمه، ودع منازعته، وصغّر الجاهل لجهله، ولا تطرده[3]، ولكن

---

في ذلك اليوم يتبيّن المتّقون واقعاً، ويمتازون عن المجرمين، ويحشرون إلىٰ الرحمن وفداً، وأمّا في الدنيا فكثيراً ما يشبّه غيرهم بهم.

(١) «حكم عظيم» الحكم: الحكمة.

«فإنّه دعة حسنة» الدعة: السكون والراحة.

«والمشّاء إلىٰ غير إربٍ» المشّاء: الكثير المشي، والإرب: الحاجة.

«وآعلموا أنّ الكلمة من الحكمة ضالّة المؤمن» المراد أنّ المؤمن يأخذ الحكمة من كلّ من وجدها عنده، وإن كان كافراً أو فاسقاً، كما أنّ صاحب الضالّة يأخذها حيث وجدها؛ وقيل: المراد أنّ من كان عنده حكمة لا يفهمها ولا يستحقّها يجب أن يطلب من يأخذها بحقّها كما يجب تعريف الضالّة، وإذا وجد من يستحقّها وجب أن لا يبخل في البذل كالضالّة.

«بين أظهركم» قال ابن الأثير في النهاية ٣/١٦٦: في الحديث «فأقاموا بين ظهرانيّهم وبين أظهرهم... والمراد بها أنّهم أقاموا بينهم علىٰ سبيل الاستظهار، والاستناد إليهم، وزيدت فيه ألف ونون مفتوحة تأكيداً، ومعناه أنّ ظهراً منهم قدّامه وظهراً وراءه، فهو مكنوف من جانبيه، ومن جوانبه إذا قيل: بين أظهرهم، ثمّ كثر حتّىٰ استعمل في الإقامة بين القوم مطلقاً».

(٢) أخرج هذه القطعة في عوالم العلوم ٣/٢٠٥ ح ١٠ عن التحف.

(٣) «ولا تطرده» ولا تبعده.

قرّبه وعلّمه.

يا هشام! إنّ كلّ نعمةٍ عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها.

وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «إنّ لله عباداً كسرت قلوبهم خشيته فأسكتتهم عن المنطق وإنّهم لفصحاء عقلاء، يستبقون إلىٰ الله بالأعمال الزكية، لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون لهم من أنفسهم بالقليل، يرون في أنفسهم أنّهم أشرارٌ وإنّهم لأكياسٌ وأبرارٌ»[1].

يا هشام! الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنّة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار[2].

يا هشام! المتكلّمون ثلاثة: فرابح وسالم وشاجب، فأمّا الرابح فالذاكر لله، وأمّا السالم فالساكت، وأمّا الشاجب فالذي يخوض في الباطل، إنّ الله حرّم الجنّة علىٰ كلّ فاحش بذيء، قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه[3].

---

(١) «عجزت عن شكرها» المراد بالعجز الترك وتعجيز النفس والكسل، لا عدم القدرة، أي إنّ الله يؤاخذ بترك شكر النعمة كما يؤاخذ بفعل السيئة ولو في الدنيا بزوال النعمة.

«يستبقون إلىٰ الله بالأعمال الزكية» أي يسبق بعضهم بعضاً في التقرّب إلىٰ الله بالأعمال الطاهرة من آفاتها، أو النامية.

«لأكياس» الأكياس: جمع كيّس: الفطن، الظريف، الحسن الفهم والأدب.

(٢) «والبذاء من الجفاء» البذاء: الفحش، وكلّ كلام قبيح. والجفاء: خلاف البرّ والصلة، وقد يطلق علىٰ البعد عن الآداب، وقال المطرّزي: الجفاء: الغلظ في العشرة، والخرق في المعاملة، وترك الرفق.

(٣) «المتكلّمون ثلاثة» المراد بالمتكلّمين القادرون علىٰ التكلّم، أو المتكلّمون والمجالسون معهم تغليباً، والحاصل أنّ الناس في أمر الكلام علىٰ ثلاثة أصناف.

«وشاجب» الشجب: الهلاك والحزن والعيب.

قال ابن الأثير في النهاية ٢/ ٤٤٥: في حديث الحسن: المجالس ثلاثة: فسالم

وكان أبو ذرّ ﷺ يقول: «يا مبتغي العلم إنّ هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شرّ، فاختم على فيك كما تختم على ذهبك ووَرِقِك».

يا هشام! بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه إذا شاهده، ويأكله إذا غاب عنه، إن أُعطي حسده، وإن ابتُلي خذله، إنّ أسرع الخير ثواباً البرّ، وأسرع الشرّ عقوبةً البغي، وإنّ شرّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه، وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلّا حصائد ألسنتهم، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[1].

يا هشام! لا يكون الرجل مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.

يا هشام! قال الله جلّ وعزّ: وعزّتي وجلالي وعظمتي وقدرتي وبهائي وعلوّي في مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلّا جعلت الغنى في نفسه، وهمّه في آخرته، وكففت عليه في ضيعته[2]، وضمّنت السماوات

---

﴿ وغانم وشاجب أي هالك؛ يقال: شجب يشجب فهو شاجب، وشجب يشجب فهو شجب، أي إمّا سالم من الإثم، أو غانم للأجر، وإمّا هالك آثم.

(١) «يطري أخاه إذا شاهده، ويأكله إذا غاب عنه» أي يحسن الثناء ويبالغ في مدحه إذا شاهده، ويعيبه بالسوء ويذمّه إذا غاب.

«خذله» أي ترك نصرته.

«البغي» التعدّي والاستطالة والظلم، وكلّ مجاوزة عن الحدّ.

«وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلّا حصائد ألسنتهم» أي ما يقطعونه من الكلام الذي لا خير فيه، واحدتها حصيدة تشبيهاً بما يحصد من الزرع، وتشبيهاً للّسان وما يقطعه من القول بحدّ المنجل الذي يحصد به. النهاية لابن الأثير ١ / ٣٩٤.

«ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» يقال: هذا أمر لا يعنيني، أي لا يشغلني ولا يهمّني.

(٢) في بعض النسخ: صنعته.

والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجرٍ[١].

يا هشام! الغضب مفتاح الشرّ، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وإن خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحداً منهم إلّا من كانت يدك عليه العليا فافعل[٢].

يا هشام! عليك بالرفق، فإنّ الرفق يمن، والخرق شؤم، إنّ الرفق والبرّ وحسن الخلق يعمّر الديار، ويزيد في الرزق[٣].

يا هشام! قول الله: ﴿هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان﴾[٤] جرت في المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، من صُنع إليه معروف فعليه أن يكافئ

---

(١) «في مكاني» أي في منزلتي ودرجة رفعتي.

«وكففت عليه في ضيعته» يقال: كففته عنه أي صرّفته ودفعته، والضيعة: الضياع والفساد، وما هو في معرض الضياع من الأهل والمال وغيرهما.

وقال في النهاية ٣/١٠٨: ضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة والتجارة والزراعة وغيرها، ومنه الحديث: «أفشىٰ الله ضيعته» أي أكثر عليه معاشه. انتهىٰ.

فيحتمل أن يكون المراد صرّفت عنه ضياعه وهلاكه، أو صرّفت عنه كسبه بأن لا يحتاج إليه، أو جمعت عليه معيشته أو ما كان منه في معرض الضياع، كما قال في النهاية ٤/١٩٠: لا يكفّها أي لا يجمعها ولا يضمّها، ومنه الحديث «المؤمن أخ المؤمن يكفّ عليه ضيعته» أي يجمع عليه معيشته ويضمّها إليه.

«وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر» يحتمل وجوهاً:

الأوّل: أن يكون المراد كنت له عقب تجارة التجّار لأسوقها إليه.

الثاني: أن يكون المراد أنّي أكفي مهمّاته سوىٰ ما أسوق إليه من تجارة التاجرين.

الثالث: أن يكون معناه: أنا له عوضاً عمّا فاته من منافع تجارة التاجرين.

(٢) «من كانت يدك عليه العليا» اليد العليا: المعطية أو المتعفّفة.

(٣) «والخرق شؤم» الخرق: ضدّ الرفق، وأن لا يحسن العمل، والتصرّف في الأُمور، والحمق.

(٤) سورة الرحمن ٥٥: ٦٠.

به ، وليست المكافأة أن تصنع كما صُنع حتّىٰ ترىٰ فضلك ، فإن صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء[١] .

يا هشام ! إنّ مثل الدنيا مثل الحيّة مسّها ليّن ، وفي جوفها السمّ القاتل ، يحذرها الرجال ذوو العقول ، ويهوي إليها الصبيان بأيديهم .

يا هشام ! اصبر علىٰ طاعة الله ، واصبر عن معاصي الله ، فإنّما الدنيا ساعة ، فما مضىٰ منها فليس تجد له سروراً ولا حزناً ، وما لم يأت منها فليس تعرفه ، فاصبر علىٰ تلك الساعة التي أنت فيها فكأنّك قد اغتبطت[٢] .

يا هشام ! مثل الدنيا مثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتّىٰ يقتله .

يا هشام ! إيّاك والكبر ، فإنّه لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّةٍ من كِبر ، الكبر رداء الله ، فمن نازعه رداءه أكبّه الله في النار علىٰ وجهه[٣] .

---

(١) «وليست المكافأة أن تصنع . . .» أي له الفضيلة بسبب ابتدائه بالإحسان فهو أفضل منك .

(٢) في بعض النسخ : احتبطت ، وفي بحار الأنوار : اعتبطت .
قال ابن الأثير في النهاية ٣/ ١٧٢ : كلّ من مات بغير علّة فقد اعتُبِط ، ومات فلان عبطةً أي شابّاً صحيحاً .
و«قد اغتبطت» أي إن صبرت فعن قريب تصير مغبوطاً في الآخرة يتمنّىٰ الناس منزلتك .

(٣) «الكبر رداء الله» قال ابن الأثير في النهاية ١ / ٤٤ : في الحديث «قال الله تبارك وتعالىٰ : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي» ؛ ضرب الرداء والإزار مثلاً في انفراده بصفة العظمة والكبرياء ، أي ليستا كسائر الصفات التي قد يتّصف بها الخلق مجازاً كالرحمة والكرم وغيرهما ، وشبّههما بالإزار والرداء لأنّ المتّصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان ؛ ولأنّه لا يشاركه في إزاره وردائه أحد ، فكذلك الله تعالىٰ لا ينبغي أن يشركه فيهما أحد .

يا هشام! ليس منّا من لم يحاسب نفسه كلّ يومٍ، فإن عمل حسناً استزاد منه، وإن عمل سيّئاً استغفر الله منه وتاب إليه.

يا هشام! تمثّلت الدنيا للمسيح عليه السلام في صورة امرأةٍ زرقاء فقال لها: كم تزوّجت؟

فقالت: كثيراً.

قال: فكلّ طلّقك؟

قالت: لا، بل كلّاً قتلت.

قال المسيح عليه السلام: فويح لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بالماضين؟![1].

يا هشام! إنّ ضوء الجسد في عينه، فإن كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كلّه، وإنّ ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالِماً بربّه وإذا كان عالِماً بربّه أبصر دينه، وإن كان جاهلاً بربّه لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلّا بالنفس الحية، فكذلك لا يقوم الدين إلّا بالنيّة الصادقة، ولا تثبت النيّة الصادقة إلّا بالعقل.

يا هشام! إنّ الزرع ينبت فى السهل ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار، لأنّ

---

ومثله الحديث الآخر: «تأزّر بالعظمة، وتردّىٰ بالكبرياء، وتسربل بالعزم».

(١) «امرأة زرقاء» الزرقة فى العين معروفة، وقد تطلق علىٰ العمىٰ؛ ويقال: زرقت عينه نحوي: انقلبت وظهر بياضها، فعلىٰ الأوّل: لعلّ المراد بيان شؤمتها فإنّ العرب تتشأّم بزرقة العين أو قبح منظرها، وعلىٰ الثاني ظاهر، وعلىٰ الثالث كناية عن شدّة الغضب.

«فويح لأزواجك الباقين» ويح: كلمة ترحّم تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقّها، وقد تقال بمعنىٰ المدح والتعجّب.

الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبّر من آلة الجهل، ألم تعلم أنّ من شمخ إلىٰ السقف برأسه شجّه، ومن خفض رأسه استظلّ تحته وأكنّه؟! وكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله، ومن تواضع لله رفعه[١].

يا هشام! ما أقبح الفقر بعد الغنىٰ، وأقبح الخطيئة بعد النُسك، وأقبح من ذلك العابد لله ثمّ يترك عبادته[٢].

يا هشام! لا خير في العيش إلّا لرجلين: لمستمعٍ واعٍ، وعالم ناطق[٣].

يا هشام! ما قُسّم بين العباد أفضل من العقل[٤]، نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وما بعث الله نبيّاً إلّا عاقلاً حتّىٰ يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهدين[٥]، وما أدّىٰ العبد فريضةً من فرائض الله حتّىٰ عقل

---

(١) «من شمخ» أي طال وعلا.
«شجّه» أي كسره أو جرحه.
«ومن خفض» الخفض: ضدّ الرفع.

(٢) «ما أقبح الفقر بعد الغنىٰ» المراد بالفقر إمّا الفقر المعنوي، أي ما أقبح للرجل أن تكون له فضائل نفسيّة وخلق كريمة، أو عقائد حقّة وملّة مَرْضِيّة، ثمّ يتركها ويستخلف منها الخصال المذمومة والأخلاق الرذيلة أو العقائد الباطلة فيكون مآل أمره إلىٰ الخسران ومرجعه إلىٰ الفناء.
أو المراد المادّي أي ما أقبح للرجل أن يكون ذا ثروة ومال، ثمّ يترفها ويسرفها ويصرفها في ما لا يصلح به دنياه، ولا يثاب في عقباه، فيصير فقيراً ويصبح إلىٰ أقرانه محتاجاً.
«وأقبح الخطيئة بعد النسك» النسك: الحجّ أو مطلق العبادة.

(٣) «لا خير في العيش» العيش: الحياة.
«لمستمع واع» يقال: وعاه أي حفظه.

(٤) أخرج هذه القطعة في عوالم العلوم ٢ / ٢٩ ح ٤ عن التحف.

(٥) «جهد المجتهدين» الاجتهاد: بذل الجهد في الطاعات.
أخرج قوله: «وما بعث الله نبيّاً... جهد المجتهدين» في عوالم العلوم ٢ / ٢٨ ح ٢ عن التحف والكافي.

عنه[١].

يا هشام! قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم المؤمن صموتاً[٢] فادنوا منه، فإنّه يلقي الحكمة، والمؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل.

يا هشام! أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود عليه السلام: قل لعبادي لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّهم عن ذِكري، وعن طريق محبّتي ومناجاتي، أُولئك قطّاع الطريق من عبادي[٣]، إنّ أدنىٰ ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبّتي[٤] ومناجاتي من قلوبهم.

يا هشام! من تعظّم في نفسه لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض، ومن تكبّر علىٰ إخوانه وآستطال عليهم فقد ضادّ الله، ومن ادّعىٰ ما ليس له فهو أعنىٰ لغير رشده[٥].

يا هشام! أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود عليه السلام: يا داود حذّر وأنذر أصحابك عن حبّ الشهوات، فإنّ المعلّقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم

---

(١) «عقل عنه» أي عرفه إلىٰ حدّ التعقّل.
أخرج قوله: «يا هشام! ما قُسّم بين العباد... عقل عنه» في عوالم العلوم ٢/٢٣ ح ٥٣ عن التحف والكافي، وفي ٣١ ح ١١ عن التحف.

(٢) «إذا رأيتم المؤمن صموتاً» أي الكثير الصمت.

(٣) في بعض الأخبار: قطّاع طريق عبادي.

(٤) في بعض النسخ: عبادتي.

(٥) «من تعظّم في نفسه» أي عدّ نفسه عظيماً.
«وآستطال عليهم» أي تفضّل عليهم.
«أعنىٰ لغير رشده» عنىٰ بالأمر: كلّف ما يشقّ عليه، وفي بعض النسخ: «أعنىٰ لغيره» أي يدخل غيره في العناء والتعب ممّن يشتبه عليه أمره أكثر ممّا يصيبه من ذلك، ويحتمل يكون «أعتىٰ لغيره» من العتوّ وهو الطغيان والتجبّر.
هذا ويحتمل أن يكون الأصل: فهو لغيٌّ لغير رشدةٍ.

محجوبةٌ عنّي[١].

يا هشام! إيّاك والكبر على أوليائي والاستطالة بعلمك فيمقتك الله، فلا تنفعك بعد مقته دنياك ولا آخرتك، وكن في الدنيا كساكن دارٍ ليست له، إنّما ينتظر الرحيل.

يا هشام! مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة، ومشاورة العاقل الناصح يمنٌ وبركةٌ ورشدٌ وتوفيقٌ من الله، فإذا أشار[٢] عليك العاقل الناصح فإيّاك والخلاف فإنّ في ذلك العطب[٣].

يا هشام! إيّاك ومخالطة الناس والأُنس بهم إلّا أن تجد منهم عاقلاً ومأموناً فآنس به، وآهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية، وينبغي للعاقل إذا عمل عملاً أن يستحيي من الله، وإذا تفرّد له[٤] بالنعم أن يشارك في عمله أحداً غيره، وإذا مرّ بك[٥] أمران لا تدري أيّهما خير وأصوب، فانظر أيّهما أقرب إلى هواك فخالفه، فإنّ كثير الصواب في مخالفة هواك، وإيّاك أن تغلب الحكمة وتضعها في أهل الجهالة[٦][٧].

---

(١) «قلوبهم محجوبة عنّي» أي قلوبهم مستورة عن كشف سبحات وجهي وجلالي وإشراق أنوار عظمتي وعرفان دلائل ألوهيّتي وجمالي، وممنوعة عن حصول العلوم الحقيقيّة فيها، لحلول محبّة زخارف الدنيا فيها وتعلّقها بها.

(٢) في بعض النسخ: فإذا استشار. تصحيف.

(٣) «مجالسة أهل الدين» أهل الدين هم العالمون بشرائع الدين العاملون بها.
«فإنّ في ذلك العطب» العطب: الهلاك.

(٤) في بعض النسخ: إذ تفرّد له.

(٥) في بعض النسخ: وإذا خرّ بك، وفي بعضها: وإذا حزّ بك.
و«خرّ به أمر» أو «حزّ به أمر» أي نزل به وأهمّه.

(٦) في بعض النسخ: وإيّاك أن تطلب الحكمة وتضعها في الجهّال، وفي بحار الأنوار: وتضعها في الجهالة.

(٧) «السباع الضارية» أي المولعة بالافتراس المعتادة له.

قال هشام : فقلت له : فإن وجدت رجلاً طالباً له غير أنّ عقله لا يتّسع لضبط ما أُلقي إليه ؟

قال عليه السلام : فتلطّف له في النصيحة ، فإن ضاق قلبه فلا تعرّضن نفسك للفتنة ، وآحذر ردّ المتكبّرين ، فإنّ العلم يدلّ علىٰ أن يملىٰ علىٰ[1] من لا يفيق[2] .

قلت : فإن لم أجد من يعقل السؤال عنها ؟

قال عليه السلام : فاغتنم جهله عن السؤال حتّىٰ تسلم من فتنة القول وعظيم فتنة الردّ ، وآعلم أنّ الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده ، ولم يؤمن الخائفين بقدر خوفهم ولكن آمنهم بقدر كرمه وجوده ، ولم يفرج[3] المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفته ورحمته ، فما ظنّك بالرؤوف الرحيم الذي يتودّد إلىٰ من يؤذيه بأوليائه ، فكيف بمن يؤذىٰ فيه ؟! وما ظنّك بالتوّاب الرحيم الذي يتوب علىٰ من يعاديه ، فكيف بمن يترضّاه ويختار عداوة الخلق فيه ؟![4] .

---

«وإذا تفرّد له بالنعم أن يشارك في عمله أحداً غيره» أي إذا اختصّ العاقل بنعمة ينبغي له أن يشارك غيره في هذه النعمة بأن يعطيه منها .

«وإيّاك أن تغلب الحكمة» لعلّ فيه حذفاً وإيصالاً ، أي تغلب علىٰ الحكمة ، أي يأخذها منك قهراً من لا يستحقّها ، أو تغلب علىٰ الحكمة فإنّها تأبىٰ عمّن لا يستحقّها ، ويحتمل أن يكون بالفاء والتاء من الإفلات بمعنىٰ الاطلاق ، فإنّهم يقولون : انفلت منّي كلام أي صدر بغير رويّة .

(١) في بعض النسخ وبحار الأنوار : فإنّ العلم يذلّ علىٰ أن يحمل ( يجلىٰ ) علىٰ .

(٢) «فتلطّف له في النصيحة» أي تذكر له شيئاً من تلك الحكمة بلطف علىٰ وجه الامتحان .

«من لا يفيق» الإفاقة : الرجوع عن السكر والإغماء والغفلة إلىٰ حال الاستقامة .

(٣) في بعض النسخ : لم يفرح .

(٤) «يؤذيه بأوليائه» أي بسبب إيذائهم .

يا هشام! من أحبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، وما أُوتي عبدٌ علماً فازداد للدنيا حبّاً إلّا ازداد من الله بعداً، وازداد الله عليه غضباً.

يا هشام! إنّ العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به، وأكثر الصواب في خلاف الهوىٰ، ومن طال أمله ساء عمله[١].

يا هشام! لو رأيت مسير الأجل لألهاك[٢] عن الأمل.

يا هشام! إيّاك والطمع، وعليك باليأس ممّا في أيدي الناس، وأمت الطمع من المخلوقين، فإنّ الطمع مفتاح للذلّ[٣]، وآختلاس العقل[٤]، وآختلاق[٥] المروّات، وتدنيس العرض[٦]، والذهاب بالعلم؛ وعليك بالاعتصام بربّك والتوكّل عليه، وجاهد نفسك لتردّها عن هواها، فإنّه واجب عليك كجهاد عدوّك.

قال هشام: فقلت له: فأيّ الأعداء أوجبهم مجاهدةً؟

قال عليه السلام: أقربهم إليك، وأعداهم لك، وأضرّهم بك، وأعظمهم لك عداوةً، وأخفاهم لك شخصاً مع دنوّه منك، ومن يحرّض[٧] أعداءك

---

﴿ «بمن يترضّاه» أي بمن يطلب رضاه.

(١) «العاقل اللبيب» اللبّ: العقل الخالص من الشوائب، أو ما ذكا من العقل، فكلّ لبّ عقل ولا يعكس، واللبيب من كان ذا لبّ، فكلّ لبيب عاقل ولا يعكس.

(٢) «لألهاك» أي أغفلك.

(٣) في بعض النسخ: الذلّ.

(٤) «وآختلاس العقل» الاختلاس: الاستلاب.

(٥) في بعض النسخ: وإخلاق.
والاختلاق: الافتراء. وأخلاق: الظاهر أنّه جمع خلق ـ بالتحريك ـ: أي البالي.

(٦) «وتدنيس العرض» الدنس: الوسخ، والعرض: النفس والخليقة المحمودة، وأيضاً: ما يفتخر [ به ] الإنسان من حسب وشرف.

(٧) في بعض النسخ: ومن يحرص، وفي بعضها: ويحرص من.
«ومن يحرّض» أي ومن يحثّ ويرغّب، كما قال تعالىٰ: ﴿ **حرّض المؤمنين** ﴾

عليك، وهو إبليس الموكّل بوسواس من القلوب، فله فلتشتدَّ[١] عداوتك، ولا يكوننَّ أصبر علىٰ مجاهدته[٢] لهلكتك منك علىٰ صبرك لمجاهدته، فإنّه أضعف منك ركناً[٣] في قوّته، وأقلّ منك ضرراً في كثرة شرّه، إذا أنت اعتصمت بالله فقد هُديتَ إلىٰ صراطٍ مستقيم.

يا هشام! من أكرمه الله بثلاثٍ فقد لطف له: عقلٌ يكفيه مؤونة هواه، وعلمٌ يكفيه مؤونة جهله، وغنىً يكفيه مخافة الفقر.

يا هشام! احذر هذه الدنيا وآحذر أهلها، فإنّ الناس فيها علىٰ أربعة أصنافٍ: رجلٍ متردٍّ[٤] معانقٍ لهواه، ومتعلّمٍ مقرئ[٥] كلّما ازداد علماً ازداد كبراً، يستعلي[٦] بقراءته وعلمه علىٰ من هو دونه، وعابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته، يحبّ أن يُعظّم ويُوقّر، وذي بصيرة عالم عارف بطريق الحقّ يحبّ القيام به، فهو عاجز أو مغلوب ولا يقدر علىٰ القيام بما يعرفه فهو محزون مغموم بذلك، فهو أمثل أهل زمانه، وأوجههم عقلاً[٧].

---

﴿علىٰ القتال﴾ [سورة الأنفال ٨: ٦٥].

(١) في بعض النسخ: فلتشدّ.

(٢) في بحار الأنوار: مجاهدتك.

(٣) «أضعف منك ركناً» الركن: العزّ والمنعة، وأيضاً: ما يقوىٰ به، وأيضاً: الأمر العظيم، والمراد: أي لا يكن صبره في المجاهدة أقوىٰ منك، فإنّك إذا كنت علىٰ الاستقامة في مخالفته يكون مع قوّته أضعف منك ركناً وضرراً.

(٤) «رجل متردٍّ» المتردّي: أي الواقع في المهالك التي يعسر التخلّص منها.

(٥) في بعض النسخ وبحار الأنوار: متقرّئ.
والمتقرّئ: الناسك المتعبّد أو المتفقّه أي متعلّم القراءة.

(٦) في بعض النسخ وبحار الأنوار: يستعلن.
ويستعلن بقراءته: كأنّه كان يستعلي، ويمكن أن يضمّن فيه معناه.

(٧) «أمثل أهل زمانه» الأمثل: الأفضل.
«وأوجههم عقلاً» لعلّ المراد أنّ عقلهم أوجه عند الله من عقول غيرهم، أو هم

يا هشام! اعرف العقل وجنده، والجهل وجنده، تكن من المهتدين.

قال هشام: فقلت: جعلت فداك، لا نعرف إلّا ما عرّفتنا.

فقال عليه السلام: يا هشام! إنّ الله خلق العقل وهو أوّل خلق خلقه الله من الروحانيّين[1] عن يمين العرش من نوره[2]، فقال له: أدبِر، فأدبَر.

ثمّ قال له: أقبِل، فأقبَل.

فقال الله جلّ وعزّ: خلقتك خلقاً عظيماً وكرّمتك علىٰ جميع خلقي.

ثمّ خلق الجهل من البحر الأُجاج الظلماني، فقال له: أدبِر، فأدبَر.

ثمّ قال له: أقبِل، فلم يُقبِل.

فقال له: استكبرت؛ فلعنه، ثمّ جعل للعقل خمسةً وسبعين جنداً، فلمّا رأىٰ الجهل ما كرّم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة.

---

﴿ أوجه الناس للعقل.

(١) «وهو أوّل خلق خلقه الله من الروحانيّين» أي هو أوّل مخلوق من المنسوبين إلىٰ الروح في مدينة بنية الإنسان المتمركزين بأمر الربّ والسلطان في مقرّ الحكومة العقليّة، فهو أوّلها ورأسها، ثمّ يوجد بعده وبسببه جنداً فجنداً إلىٰ أن يكمل للإنسان جودة العقل.

قال المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٥٧ / ٣٠٩: هذا لا يدلّ علىٰ تقدّم العقل علىٰ جميع الموجودات، بل علىٰ خلق الروحانيّين، ويمكن أن يكون خلقها متأخّر عن خلق الماء والهواء، وأمّا خبر «أوّل ما خلق الله العقل» فلم أجده في طرقنا، وإنّما هو في طرق العامّة، وعلىٰ تقديره يمكن أن يراد به نفس الرسول صلى الله عليه وآله لأنّه أحد إطلاقات العقل، علىٰ أنّه يمكن حمل العقل علىٰ التقدير في بعض تلك الأخبار، كما هو أحد معانيه، وكذا حديث «أوّل ما خلق الله القلم» يمكن حمله علىٰ الأوّليّة الإضافية بالنسبة إلىٰ جنسه من الملائكة، أو بعض المخلوقات.

(٢) «يمين العرش» أي أقوىٰ جانبيه وأشرفهما.

«من نوره» أي من نور ذاته.

أخرج هذه القطعة في عوالم العلوم ٢ / ٤١ ح ٦ عن التحف.

فقال الجهل: يا ربّ! هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته وأنا ضدّه ولا قوّة لي به، أعطني من الجند مثل ما أعطيته.

فقال تبارك وتعالىٰ: نعم، فإن عصيتني بعد ذلك أخرجتك وجندك من جواري، ومن رحمتي.

فقال: قد رضيت، فأعطاه الله خمسةً وسبعين جنداً، فكان ممّا أعطىٰ العقل من الخمسة والسبعين جنداً: الخير، وهو وزير العقل، وجعل ضدّه الشرّ، وهو وزير الجهل[1].

(١) «خلقتك خلقاً عظيماً وكرّمتك علىٰ جميع خلقي» أي فلا يكون خلقاً أعظم منه إذ به يقوم كلّ شيء فيكون أكرم من كلّ مخلوق.
«ثمّ خلق الجهل» وهو منبع الشرور، فله قابليّة لكلّ شرّ.
أخرج الفقرات الأخيرة في عوالم العلوم ٢/ ٤٥ ح ١٠ عن التحف والكافي.

## * جنود العقل والجهل *

الإيمان ـ الكفر ، التصديق ـ التكذيب ، الإخلاص ـ النفاق ، الرجاء ـ القنوط ، العدل ـ الجور ، الرضىٰ ـ السخط ، الشُكر ـ الكفران ، اليأس ـ الطمع ، التوكّل ـ الحرص ، الرأفة ـ الغلظة ، العلم ـ الجهل ، العفّة ـ التهتّك ، الزهد ـ الرغبة ، الرفق ـ الخرق ، الرهبة ـ الجرأة ، التواضع ـ الكبر ، التؤدة[١] ـ العجلة ، الحلم ـ السفه ، الصمت ـ الهذر[٢] ، الاستسلام ـ الاستكبار ، التسليم ـ التجبّر ، العفو ـ الحقد ، الرحمة ـ القسوة ، اليقين ـ الشكّ ، الصبر ـ الجزع ، الصفح ـ الانتقام ، الغنىٰ ـ الفقر ، التفكّر ـ السهو ، الحفظ ـ النسيان ، التواصل ـ القطيعة ، القناعة ـ الشره[٣] ، المواساة ـ المنع ، المودّة ـ العداوة . الوفاء ـ الغدر ، الطاعة ـ المعصية ، الخضوع ـ التطاول[٤] ، السلامة ـ البلاء ، الفهم ـ الغباوة[٥] ، المعرفة ـ الإنكار ، المدارأة ـ المكاشفة ، سلامة الغيب ـ المماكرة[٦] ، الكتمان ـ الإفشاء ، البرّ ـ العقوق ، الحقيقة ـ التسويف[٧] ، المعروف ـ المنكر ، التقيّة ـ الإذاعة ، الإنصاف ـ الظلم ، التقىٰ[٨] ـ الحسد ،

---

(١) «التؤدة» الرزانة والتأنّي ؛ يقال : توأّد في الأمر : أي تأنّىٰ وتمهّل .

(٢) «الهذر» الهذيان والكلام الذي لا يعبأ به ؛ يقال : هذر فلان في منطقه : أي خلط وتكلّم بما لا ينبغي .

(٣) «الشره» الحرص ؛ يقال : شره إلىٰ الطعام أي اشتدّ ميله إليه ، ويمكن أن يكون كما في بعض النسخ الشِرَّة ـ بالكسر فالتشديد ـ أي الحدّة والحرص .

(٤) «التطاول» التكبّر والترفّع .

(٥) «الغباوة» الغفلة وقلّة الفطنة .

(٦) «المماكرة» المخادعة .

(٧) «التسويف» المطل والتأخير .

(٨) في بعض النسخ وبحار الأنوار : النفي ، ولعلّ المراد نفي الحسد عن النفس .

النظافة ـ القذر ، الحياء ـ القحة[١] ، القصد ـ الإسراف ، الراحة ـ التعب ، السهولة ـ الصعوبة ، العافية ـ البلوىٰ ، القوام[٢] ـ المكاثرة[٣] ، الحكمة ـ الهوىٰ ، الوقار ـ الخفّة ، السعادة ـ الشقاء ، التوبة ـ الإصرار ، المحافظة ـ التهاون[٤] ، الدعاء ـ الاستنكاف ، النشاط ـ الكسل ، الفرح ـ الحزن ، الأُلفة ـ الفرقة ، السخاء ـ البخل ، الخشوع ـ العُجُب ، صون الحديث[٥] ـ النميمة ، الاستغفار ـ الاغترار ، الكياسة ـ الحمق[٦] .

يا هشام ! لا تجمع[٧] هذه الخصال إلّا لنبيٍّ أو وصيِّ أو مؤمنٍ امتحن الله قلبه للإيمان ، وأمّا سائر ذلك من المؤمنين فإنّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل حتّىٰ يستكمل العقل ويتخلّص من جنود الجهل ، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام .

وفّقنا الله وإيّاكم لطاعته[٨] .

---

(١) «القحة» الوقاحة وقلّة الحياء .

(٢) «القوام» العدل والاعتدال .

(٣) «المكاثرة» المغالبة في الكثرة بالمال أو العدد ، أي تحصيل متاع الدنيا .

(٤) في بعض النسخ : المخالفة .

(٥) في بعض النسخ : صدق الحديث .

(٦) لا يخفىٰ أنّ ما ذكره هنا من جنود العقل والجهل أقلّ من ٧٥ لكلّ منهما .

(٧) في بعض النسخ : لا تجتمع .

(٨) تحف العقول : ٣٨٣ ـ ٤٠٢ ، عنه بحار الأنوار ١/١٣٢ ـ ١٥٩ ح ٣٠ ، و٧٨/٢٩٦ ـ ٣١٩ ح ١ ، وعوالم العلوم ٢/٨٠ ـ ١٠٦ ح ٦٧ .

وأخرج ذيل الوصيّة في الوافي (الطبعة الحجرية) : الجزء ٣ ـ روضة الوافي ـ الباب ٢٠ «مواعظ سائر الأئمّة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين» .

وروىٰ البرقي في المحاسن ١/١٩٦ ح ٢٢ بإسناده عن علي بن حديد ، عن سماعة بن مهران ، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده عدّة من مواليه فجرىٰ ذكر

---

العقل والجهل ، فقال عليه السلام : اعرفوا العقل وجنده ، وآعرفوا الجهل وجنده تهتدوا .

قال سماعة : فقلت : جعلت فداك ، لا نعرف إلّا ما عرّفتنا .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ الله خلق العقل وهو أوّل خلق خلقه من الروحانيّين . . . وساق الحديث باختلاف عمّا روي عن الكاظم عليه السلام .

والكليني في الكافي ١ / ٢١ ح ١٤ بإسناده عن عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ـ كما في المحاسن ـ .

والصدوق في الخصال : ٥٨٨ ح ١٣ بإسناده عن أبيه رحمه الله ، قال : حدّثنا سعد بن عبد الله ؛ وعبد الله بن جعفر الحميري ، قالا : حدّثنا أحمد بن محمّد بن خالد البرقي ، عن علي بن حديد ـ كما في المحاسن ـ .

والصدوق أيضاً في علل الشرائع : ١١٣ ح ١٠ بإسناده عن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله ، قال : حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار ، قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله البرقي ، عن علي بن حديد ـ كما في المحاسن ـ .

وأخرجه في بحار الأنوار ١ / ١٠٩ ح ٧ عن الخصال والعلل والمحاسن ، وفي ٥٧ / ٣٠٩ عن الكليني وغيره ( قطعة ) .

وفي عوالم العلوم ٢ / ٤٠ ح ٥ و٤٥ ح ٩ و٧٢ ح ٦٣ عن الخصال والمحاسن وعلل الشرائع ( قطعات ) .